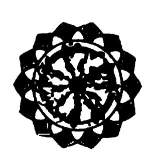
شيعة

أهل البيت عليهم السلام

الشيخ محمّد مهدي الآصفي



الكتاب: شيعة أهل البيت عليهم السلام

المؤلف: محمّد مهدي الآصفي

الناشر: مجمع أهل البيت عليهم السلام - العراق

الطبعة: الرابعة

تاريخ الطبع: ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

الإخراج: محمد صادق الحلفي

الكمية: ٣٠٠٠ نسخة

المطبعة: مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام في النجف الأشرف



أهل البيت عليهم السلام

الشيخ محمّد مهدي الآصفي

فهرس إجمالي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾

الشورى: ٢٣

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾

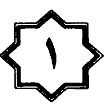
المائدة: ٥٥

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

المائدة: ٦٧

صدق الله العلي العظيم


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



المدخل

من هم
شيعة أهل البيت عليهم السلام

قال رسول الله (ص):

أني تارك فيكم، ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي. أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض. فانظروا كيف تخلفوني فيها.

(التشيع) بمعنى الانتماء والمشايعة والمتابعة والولاء، وقد جاء في القرآن: ﴿وَإِنَّ من شيعَته لإبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

أي أن إبراهيم عليه السلام من شيعة نوح عليه السلام، وعلى منهاجه وهديه في الدعوة إلى التوحيد والعدل.

وقد عرفت هذه الكلمة تاريخياً في الولاء والانتماء إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من ذريته من بعده. وهم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله الذين نزلت فيهم: آية التطهير وآية المودّة.

واشتهرت هذه الكلمة في التأريخ الإسلامي في الولاء والانتماء إلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ومدرستهم. ولهذا الولاء والانتماء والاتّباع معنيان إثنان:

الانتماء والاتّباع السياسي (الإمامة السياسية)، والانتماء والاتّباع الثقافي والمعرفي (المرجعية الثقافية والفقهية)، وهما أبرز ما يعرف به ويتميز به شيعة أهل البيت عليهم السلام عن غيرهم من المسلمين.

وإليك توضيح هاتين النقطتين:

١ـ إمامة أهل البيت عليهم السلام السياسية

نصب رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام إماماً على المسلمين من بعد رجوعه من حجة الوداع. في موقع يقال له (غدير خم) قبل مفترق الطرق، وأمر صلى الله عليه وآله بردّ من سبقه من الناس، وأن يلحقه من تخلف عنه في الطريق حتّى

---

(١) الصافات: ٨٣

اجتمع عنده يومئذ جمع غفير من الناس، وكان الوقت شديد الحر ولم يمر عليهم يوم أشد حراً من ذلك اليوم.

وأمر بدوحات عظام في ذلك الموقع فكنس تحتهن ورش وظلل له بثوب. فصلّى الظهر، ثم خطب الناس ونبّه الناس بدنو أجله، ثم أخذ بيد عليّ ابن أبي طالبعليه السلام حتّى رأوا بياض إبطيهما، وقال: «**أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟** قالوا: بلى.

فقال: من كنت مولاه، فهذا عليّ مولاه اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله».

وكان الله تعالى قد أمر رسولهصلى الله عليه وآله وسلم قبل ذلك بتبليغ هذه الرسالة إلى الناس وذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾(١).

فأمره الله تعالى فيها بتبليغ الولاية والوصاية إلى الناس من بعده. والخطاب في الآية قوي شديد، ولا نعهد آية أُخرى في كتاب الله تخاطب رسول الله بهذا النوع من الخطاب: ﴿**وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾. ثم بعد ذلك يأتي الخطاب التطميني لرسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم،إذ كان يتهيّب هذا الموقع والخطاب، ولا يطمئن لردود فعل الناس تجاه ذلك: ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾.

فلمّا بلّغ رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم الناس بخطاب الولاية والوصاية وأكمل التبليغ نزل في ذلك قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾.

وقد تواترت رواية هذه الواقعة العظمى في التأريخ، في كل طبقاتها وأسنادها منذ عصر الصحابة إلى اليوم.

---

(١) المائدة: ٦٧.

فقد رواها من الصحابة أكثر من مئة وعشرة صحابياً من الطبقة الأولى، وأربعاً وثمانين تابعياً من الطبقة الثانيّة، ثم تتوسع طبقات رواتها. وقد عدهم الشيخ عبد الحسين الأميني رحمه الله في المجلد الأوّل من كتاب الغدير، واستدرك عليه زميلنا المحقق السيد عبد العزيز الطباطبائي رحمه الله عدداً آخر من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والمصادر.

وفي طرق هذه الرواية طرق صحيحة أعلى مراتب الصحة، لا يطرق إليها الشك ذكرها الحفّاظ والمحدّثون والمفسرون المؤرخون وجمع غفير لا يسعنا المجال لإحصائهم، منهم: الترمذي في الصحيح، وابن ماجة في السنن، وأحمد بن حنبل في المسند، والنسائي في الخصائص، والحاكم في المستدرك، والمتقي في الكنز، والمناوي في فيض القدير، والهيثمي في مجمع الزوائد، والمحب الطبري في الرياض النضرة، والخطيب في تاريخ بغداد، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وابن أثير الجزري في أُسد الغابة، والطحاوي في مشكل الآثار، وأبو نعيم في حلية الأولياء، وابن حجر في الصواعق المحرقة، وابن حجر العسقلاني في فتح الباري، وغيرهم مما لا يسعنا إحصائهم في هذه المقدمة.

وذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب أسامي جملة من الصحابة ممن رووا حديث الغدير ثم قال: وقد جمع ابن جرير الطبري حديث الموالاة في مؤلف فيه أضعاف من ذكر وصححه... ثم قال: وأعتنى بجمع طرق أبوالعباس بن عقده فأخرجه من حديث سبعين صحابياً أو أكثر[1].

وقال في فتح الباري: وأما حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً. وقد استوعبها إبن

(١) تهذيب التهذيب: ٣٣٩/٧، ترجمة عليّ بن أبي طالب.

عقده في كتاب مفرد. وكثير من أسانيدها صحاح وحسان»[1].

فليس من شك في الحديث من حيث السند، ومتن الحديث وما اقترن به من القرائن أوضح من أن يمسّه الريب.

فلا يجمع رسول الله ﷺ ذلك الجمع الغفير من أصحابه في ذلك الوقت الهجير، وقبل مفترق الطرق، ويأمر برد من تقدم وإلحاق من تخلف إلاّ لأمر بالغ الأهمية في مصير هذه الأمّة.

وقبل أن يرفع يد عليّ بن أبي طالب عليه السلام ويقول: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» يسألهم: «ألست أولى بكم من أنفسكم». فيقرّون له بذلك، وهو معنى حاكمية وولاية رسول الله ﷺ على المسلمين عامة، فيقول لهم: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه».

فاجتمع إلى عليّ عليه السلام يومئذ جمع من كبار الصحابة يهنئونه بالولاية، منهم الشيخان أبو بكر وعمر.

اللهم، إن بعض هذا الموقف والحديث، وبعض هذه الدلالة، وبعض هذا الإشهار والأشهاد والتصريح كان كافياً للإبانة في أمر الوصاية والولاية من بعد رسول الله ﷺ، وإن رسول الله ﷺ يريد بذلك أن ينصب عليّاً من بعده إماماً على المسلمين، لولا أن الظروف السياسية حالت دون ذلك وشككّت الناس في دلالة هذا الحديث، بعد أن تعذر عليهم التشكيك في سنده.

وشيعة أهل البيت، ينطلقون من هذا الحديث، وغيره من الأحاديث الواضحة والصحيحة إلى تبنّي الإمامة السياسية من بعد رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام ومن بعده للأئمة من ذريته.

---

(١) فتح الباري: ٧٦/٨ باب ٩ مناقب عليّ بن أبي طالب.

٢. مرجعية أهل البيت عليهم السلام الفقهية والثقافية

وهي النقطة الثانيّة من النقطتين البارزتين اللتين تختلف فيهما شيعة أهل البيت عليهم السلام عن غيرهم من المسلمين.

فقد عيّن رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته (أهل بيته) مرجعاً للمسلمين من بعده فيما يرجع إلى الحلال والحرام، وما يهديهم إلى الهدى ويحفظهم من الضلال... من بعد القرآن.

وقرن أهل بيته عليهم السلام بالقرآن، وذلك في حديث (الثقلين) الذي اشتهر أمره وذاع بين المحدثين، وصح عند الفريقين وتواترت روايته عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك لإهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر إذاعة هذا الحديث من بعده.

وممن رواه مسلم بن الحجاج في الصحيح في باب فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن زيد بن أرقم، قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي، فأجيب، إنّي تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله، ورغّب فيه ثم قال: وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي»[1].

ورواه الترمذي في الصحيح عن زيد بن أرقم كذلك، قال: قال رسول الله: «أني تارك فيكم، ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي. أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض. فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[2].

---

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عليّ بن أبي طالب.

(٢) سنن الترمذي: ٣٠٨/٢، كتاب المناقب، مناقب أهل النبي ح٣٧٨٨.

كما رواه الترمذي أيضاً عن جابر بن عبدالله، قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم عرفة، وهو على ناقته القصوى يخطب فسمعته يقول: «يا أيّها الناس أني قد تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[1]

ورواه الحاكم في مستدرك الصحيحين بسنده عن زيد بن أرقم من عدة طرق[2].

ورواه أحمد بن حنبل في عدة مواضع من المسند: عن أبي سعيد الخدري[3] وعن زيد بن أرقم[4] ورواه بطريقين عن زيد بن ثابت[5] وللحديث طرق كثيرة، وأسانيد صحيحة، وهو مما استفاضت به الرواية، ويكفي أن يرويه مسلم والترمذي في صحيحهما.

وقد جمع العلاّمة مير حامد حسين اللكهنوي طرق الحديث بتفصيل، فكان مجلّداً كبيراً، كما بحث في مجلد آخر عن دلالة الحديث، وقد طبع المجلدان مؤخراً في عشرة أجزاء.

رحم الله السيد مير حامد حسين، وتقبّل منه هذا الجهد العلمي العظيم.

وفي هذا الحديث:

١ ـ يقرن رسول الله ﷺ أهل بيته ﷺ بالقرآن.

٢ ـ ويجعلهما معاً عاصمين عن الضلال.

٣ ـ ويأمر أُمّته بالتمسك بهما ويؤكد ذلك.

---

(١) سنن الترمذي: ٢/٣٠٨.

(٢) مستدرك الصحيحين: ٣/١٠٩، ١٤٨.

(٣) مسند أحمد: ٣/١٧.

(٤) المصدر السابق: ٤/٣٧١.

(٥) المصدر السابق: ٥/١٨١.

٤ ـ ويخبرهم أنهما (الكتاب والعترة) لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض. فهما إذن معاً مرجع هذه الأمّة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في كل شيء يرجع إلى معرفة هذا الدين في حدوده وأحكامه وأُصوله وفروعه.

يقول الهيثمي في (الصواعق):

وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما كان الكتاب كذلك، ولهذا كانوا أمناً للأرض، ويشهد لذلك الخبر السابق «في كل خلف من أُمتي عدول من أهل بيتي»[1][2].

هذه خلاصة شديدة الإيجاز عن أهم نقطة تختص وتتميز بها شيعة أهل البيت عليهم السلام.

ويكفينا هذا الحد من الإيجاز والاختصار للدخول فيما يهمنا من هذا البحث فإنّ هذا المقال لم يصمم للبحث عن الهوية العقائدية لشيعة أهل البيت عليهم السلام وإنما تحدثنا عن هاتين النقطتين ـ على نحو الإيجاز ـ تمهيداً للدخول في الحديث عن النقاط الأربعة التالية حول ولاء أهل البيت عليهم السلام وهذه النقاط هي:

١ ـ قيمة الولاء والإنتماء لأهل البيت عليهم السلام.

٢ ـ الشروط العامة للولاء والإنتماء إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

٣ ـ مفردات الولاء وعناصرها الّتي يتألف منها.

٤ ـ مكاسب الولاء والانتماء إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٥١ ط. مصر ١٩٦٥م.

(٢) قد يسأل أحد عند قراءة هذا المدخل: من هم أهل البيت عليهم السلام ويطلب تشخيصاً أكثر لهويتهم... وإجابة لهذا التساؤل ألحقنا البحث عن ذلك بآخر هذه الرسالة حتّى لا ينقطع على القرّاء تسلسل أفكار هذه المقالة

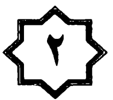
وفيمـا يلـي سـوف نتحـدث عـن هـذه النقـاط الأربعـة واحـدة بعـد الأخرى، إن شاء الله.

قال رسول الله (ص):

من كنت مولاه، فهذا عليّ مولاه

اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه،

وأنصر من نصره، وأخذل من خذله.





قيمة الولاء والإنتماء إلى أهل البيت عليهم السلام

قال الصادق(ع): إن أوّل من سمي الرافضة السحرة الذين لمّا شاهدوا آية موسى في عصاه آمنوا به واتّبعوه، ورفضوا أمر فرعون، واستسلموا لكل ما نزل بهم، فسمّاهم فرعون الرافضة لمّا رفضوا دينه، فالرافضي كل من رفض جميع ما كره الله، وفعل كل ما أمر الله.

قيمة الولاء لأهل البيت عليهم السلام عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله

وفيما يلي نستعرض طائفة من النصوص في قيمة ولاء أهل البيت عليهم السلام في النصوص الإسلامية.

شيعة عليّ عليه السلام هم الفائزون

روى السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[1].

قال: أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله، فأقبل: عليّ عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده: إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة». ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله إذا أقبل عليّ عليه السلام قالوا: جاء خير البرية.

ورواها العلاّمة عبد الرؤوف المناوي في (كنوز الحقائق ص ٨٢) ولفظها (شيعة عليّ هم الفائزون) قال: وأخرجه الديلمي.

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب المناقب، مناقب عليّ بن أبي طالب: ٩/ ١٣١. عن عليّ عليه السلام قال: «إن خليلي صلى الله عليه وآله قال: يا عليّ إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيّين، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين»... رواه الطبراني في الأوسط.

---

(١) البيّنة: ٧.

وروى ابن حجر الهيثمي في الصواعق ص ٩٦. قال: وأخرج الديلمي، قال النبي ﷺ: «ياعليّ إن الله قد غفر لك ولذريتك وولدك ولأهلك وشيعتك ولمحبي شيعتك فأبشر»(١).

وعن أيوب السجستاني عن أبي قلابة قال: قالت أم سلمة(رض) سمعت رسول الله ﷺ يقول: «شيعة عليّ هم الفائزون يوم القيامة»(٢).

عليّ وشيعته خير البرية

روى ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده عن أبي الجارود عن محمد ابن عليّ في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال النبي ﷺ: «أنت يا عليّ وشيعتك»(٣).

وأخرجه السيوطي في الدرّ المنثور عن جابر بن عبدالله الأنصاري وقال أيضاً: أخرجه ابن عدي وابن عساكر مرفوعاً «عليّ خير البرية».

وقال أيضاً أخرج ابن عدي عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال رسول الله ﷺ لعلي: «أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين»(٤).

وقال أيضاً: أخرج ابن مردويه عن عليّ عليه السلام قال: «قال لي رسول الله ﷺ: ألم تسمع قول الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾؟ أنت وشيعتك، وموعدي وموعدك الحوض. إذا جاءت الأمم للحساب، تدعون عزاً وتجلسون».

وقال ابن حجر في (الصواعق المحرقة).

---

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ١١٧/٢ ـ ١١٨.

(٢) بشارة المصطفى: ١٩٧.

(٣) تفسير الطبري: ١٧١/٣٠، تفسير سورة البيّنة.

(٤) الدر المنثور للسيوطي، تفسير سورة البيّنة.

(الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال: أخرج جمال الدين الزرندي عن ابن عباس: إن هذه الآية لما نزلت قال صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين ويأتي عدوك غضاباً مقمحين»[1] وذكره الشبلنجي في (نور الأبصار)[2].

موقع ولاية أهل البيت عليهم السلام من الإسلام

روى محمد بن يعقوب الكليني بإسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «بُني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء، كما نودي بالولاية»[3].

وروى محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله بإسناده عن عجلان أبي صالح قال: قلت لأبي عبدالله الصادق عليه السلام: أوقفني على حدود الإيمان فقال: «شهادة لا إله إلاّ الله وأن محمد رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله، وصلاة الخمس، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، وولاية ولينا وعداوة عدونا والدخول مع الصادقين»[4].

وروى الكليني بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية»[5].

---

(١) الصواعق المحرقة: ٩٦.

(٢) نور الأبصار: ٧٠/٧ و ١١٠ نقلنا الروايات عن فضائل الخمسة من الصحاح الستّة للفيروزآبادي: ٣٢٨/١ ـ ٣٢٩ ط المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

(٣) بحار الأنوار: ٣٢٩/٦٨ عن أصول الكافي: ١٨/٢

(٤) بحار الأنوار: ٣٢٩/٦٨ عن أصول الكافي: ١٨/٢.

(٥) بحار الأنوار: ٣٣٢/٢، عن أصول الكافي ٢١/٢

من هم الرافضة؟

قيل للصادق(ع): إنّ عماراً الدهني شهد اليوم عند ابن أبي ليلى قاضي الكوفة بشهادة، فقال له القاضي: قم يا عمار، فقد عرفناك، لا تقبل شهادتك؛ لأنك رافضي. فقام عمار، وقد ارتعدت فرائصه، وأستغرقه البكاء.

فقال له ابن أبي ليلى: أنت رجل من أهل العلم والحديث، أن كان يسوؤك إن يقال لك رافضي، فتبرّأ من الرفض فأنت من إخواننا، فقال له عمّار: يا هذا، ما ذهبت والله حيث ذهبت، ولكن بكيت عليك وعليّ، أما بكائي على نفسي فإنك نسبتني إلى رتبة شريفة لست من أهلها، زعمت أني رافضي. ويحك لقد حدّثني الصادق(ع): «إن أوّل من سمي الرافضة السحرة الذين لمّا شاهدوا آية موسى في عصاه آمنوا به واتّبعوه، ورفضوا أمر فرعون، واستسلموا لكل ما نزل بهم، فسمّاهم فرعون الرافضة لمّا رفضوا دينه، فالرافضي كل من رفض جميع ما كره الله، وفعل كل ما أمر الله»، فأين في هذا الزمان مثل هذا؟ وإنما بكيت على نفسي خشيت أن يطّلع الله عزّوجلّ على قلبي وقد تلقيت هذا الاسم الشريف على نفسي فيعاتبني ربي عزّوجلّ ويقول: يا عمار أكنت رافضاً للأباطيل، عاملاً بالطاعات كما قال لك؟ فيكون ذلك بي مقصراً في الدرجات إن سامحني، وموجباً لشديد العقاب عليّ إن ناقشني، إلاّ أن يتداركني مواليّ بشفاعتهم.

وأما بكائي عليك فلعظم كذبك في تسميتي بغير اسمي وشفقتي عليك من عذاب الله أن صرّفت أشرف الأسماء إليّ، وان جعلته من أرذلها كيف تصبّر بدنك على عذاب كلمتك هذه؟

فقال الصادق عليه السلام: «لو أن على عمار من الذنوب ما هو أعظم من السماوات والأرضين لمحيت عنه بهذه الكلمات وإنها لتزيد في حسناته عند ربّه عزّوجلَ حتّى يجعل كل خردلة منها أعظم من الدنيا ألف مرّة»[1].

محب وليس من الشيعة

وقيل لموسى بن جعفر عليه السلام مررنا برجل في السوق وهو ينادي: أنا من شيعة محمد وآل محمد الخلّص، وهو ينادي على ثياب يبيعها: من يزيد؟ فقال موسى عليه السلام: «ما جهل ولا ضاع أمرؤ عرف قدر نفسه، أتدرون ما مثل هذا؟ هذا شخص قال: أنا مثل سلمان، وأبي ذر، والمقداد، وعمّار. وهو مع ذلك يباخس في بيعه ويدلّس عيوب المبيع على مشتريه، ويشتري الشيء بثمن، فيزايد الغريب، يطلبه فيوجب له ثمّ إذا غاب المشتري قال لا أريده إلا بكذا بدون ما كان طلبه منه، أيكون هذا كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمار؟ حاش لله أن يكون هذا كَهُمْ، ولكن ما يمنعه من أن يقول إني من محبيَّ محمد وآل محمد ومن يوالي أوليائه ويعادي أعدائهم»[2].

المؤمنون يزهرون لأهل الجنة كما تزدهر السماء بالنجوم

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: «إنّ أهل الجنة لينظرون إلى شيعتنا كما ينظر الإنسان إلى الكواكب في السماء»[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ المؤمن ليزهر نوره لأهل السماء كما

---

(١) بحار الأنوار: ٦٨/١٥٦ ـ ١٥٧

(٢) بحار الأنوار: ٦٨/١٥٦ ـ ١٥٧

(٣) بحار الأنوار: ٦٨/١٨ عن خصال الصدوق: ١٦٧

تزهر نجوم السماء لأهل الأرض»[١].

وكان قوم من خواص الإمام الصادق عليه السلام جلوساً بحضرته في ليلة مقمرة مصحية فقالوا يا بن رسول الله: ما أحسن أديم هذه السماء، وأنوار هذه النجوم والكواكب، فقال الصادق عليه السلام: «إنكم لتقولون هذا وان المدبرات الأربعة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ينظرون إلى أهل الأرض، فيرونكم وإخوانكم في أقطار الأرض ونوركم إلى السماوات وإليهم أحسن من نور هذه الكواكب، وأنهم ليقولون، كما تقولون: ما أحسن أنوار هؤلاء المؤمنين»[٢].

ينظرون بنور الله

عن ابن أبي نجران قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «من عادى شيعتنا، فقد عادانا، ومن والاهم فقد والانا، لأنهم منا، خلقوا من طينتنا من أحبهم فهو منا ومن أبغضهم فليس منا. شيعتنا ينظرون بنور الله، ويتقلبون في رحمة الله، ويفوزون بكرامة الله، وما من أحد من شيعتنا اغتمّ إلاّ اغتممنا لغمه ولا يفرح إلا فرحنا لفرحه»[٣]

---

(١) بحار الأنوار: ٢٤٣/٧٤، عن أصول الكافي: ١٧٠/٢.

(٢) بحار الأنوار: ٢٤٣/٦٨، عن عيون أخبار الرضا ٢/٢.

(٣) بحار الأنوار: ١٦٧/٦٨ ح٢٥، عن صفات الشيعة: ١٦٣.

موقع الشيعة عند أهل البيت عليهم السلام

أهل البيت عليهم السلام يحبون شيعتهم

وكما يحبّ شيعة أهلِ البيت عليهم السلام أهلَ البيت عليهم السلام كذلك يحبّ أهلُ البيت شيعتهم حباً جمّاً، حتّى أنهم يحبون ريحهم وأرواحهم، ويحبون رؤيتهم وزيارتهم، ويشتاقون إليهم، كما يشتاق المتحابون بعضهم إلى البعض. وهو أمر طبيعي، فإن الحبّ من مقولة المبادلة، ولا يكون الحبّ الصادق في طرف إلاّ وكان مثله في الطرف الآخر.

عن إسحاق بن عمار عن عليّ بن عبد العزيز قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «والله إني لأحبّ ريحكم وأرواحكم ورؤيتكم وزيارتكم، وأني لعلى دين الله ودين الملائكة فأعينوا على ذلك بورع. أنا في المدينة بمنزلة الشعير. أتقلقل حتّى أرى الرجل منكم فأستريح إليه»[1].

- بمنزلة الشعير أو الشعرة يعني كالشعرة البيضاء في الشعر الأسود قليل، فأراكم في المدينة، فأستريح إليكم -

وعن عبدالله بن الوليد، قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول، ونحن جماعة: «والله أني لأحبّ رؤيتكم، وأشتاق إلى حديثكم»[2].

وعن نصر بن مزاحم عن محمد بن عمران بن عبدالله عن أبيه عن

---

(١) المحاسن: ١٦٣، بحار الأنوار: ٢٨/٦٨.

(٢) بحار الأنوار: ٢٩/٦٨

جعفر بن محمد عليه السلام قال: «دخل أبي المسجد، فإذا هو بأُناس من شيعتنا فدنا منهم فسلّم ثم قال لهم: والله إني لأحبّ ريحكم وأرواحكم، وإني لعلى دين الله. وما بين أحدكم وبين أن يغتبط بما فيه إلا أن تبلغ نفسه هاهنا، وأشار بيده إلى حنجرته، فأعينوني بورع واجتهاد. ومن يأتم منكم بإمام فليعمل به. أنتم شُرَطُ الله، وأنتم أعوان الله، وأنتم أنصار الله»[1].

وعن محمد بن عمران عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «خرجت أنا وأبي ذات يوم إلى المسجد، فإذا هو بأُناس من أصحابه بين القبر والمنبر. قال فدنا منهم وسلّم عليهم وقال: والله أنني لأحبّ ريحكم وأرواحكم فأعينوني على ذلك بورع واجتهاد»[2].

وتستوقف الإنسان هاتان الكلمتان:

الأولى: «أني أحبّ ريحكم وأرواحكم».

والثانيّة: «فأعينوني بورع واجتهاد».

الأولى: تعبّر عن أعلى مراتب الحبّ والشوق، حتّى كأنهم يستنشقون من شيعتهم روائح الجنة ونكهتها.

ولست أعرف تعبيراً أبلغ وأكثر شفافية في الحبّ من هذا التعبير.

والثانيّة: تحدد ضوابط هذا الحبّ. فإن هذا الحبّ يختلف عن حبّ الناس بعضهم لبعض، وإنما يدخل في امتداد الحبّ لله، وهو من أقوى درجات الحبّ، ولكنه يخضع لمقاييس دقيقة في الطاعة والعبودية والورع والتقوى. ويتعاظم هذا الحبّ بتصاعد وتعاظم درجات الورع والتقوى، فيطلب من شيعته أن يعينوه في حبّه لهم بالورع والتقوى والطاعة والعبودية لله.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٨/٤٣ ـ ٤٤، بشارة المصطفى: ١٦.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨/٦٥ ح١١٨.

إنّ هؤلاء الناس من شيعتهم، وأهل البيت عليهم السلام يعرفون مدى حبّ شيعتهم لهم، ويحبون أن يبادلوا هذا الحبّ بحب مثله أو أقوى منه، فيطلبون منهم أن يؤهّلوا أنفسهم لهذا الحبّ. وهذا التأهيل يتم بالورع والتقوى والطاعة والعبودية لله، عندئذ يكون حبهم لشيعتهم في امتداد حبّ الله تعالى.

ومثلهم في ذلك مثل الوالد الذي يحبّ ابنه، ويجب أن يكون ابنه أهلاً لهذا الحبّ في أدبه وأخلاقه وسلوكه، ولا يفعل ما يرغم أباه أن ينتزع حبه من قلبه، ويعقه.

من عادى شيعتهم عاداهم ومن والى شيعتهم والاهم

وكما الحبّ والبغض من المقولات المتبادلة فلا يصدق طرف في حبه لطرف آخر إلاّ أن يكون في نفس الطرف الآخر من الحبّ مثلما في نفس الطرف الأوّل، كذلك الولاء والبراءة من مقولات التبادل، فكما نعادي أعداء أهل البيت عليهم السلام ونكرههم ونوالي أوليائهم ونحبهم، كذلك يعادي أهل البيت عليهم السلام من يعادي شيعتهم، ويوالون من يوالي شيعتهم.

عن ابن أبي نجران: سمعت أبا الحسن عليه السلام كان يقول: «من عادى شيعتنا فقد عادانا، ومن والاهم فقد والانا، لأنهم منّا. خلقوا من طينتنا. من أحبهم فهو منّا، ومن أبغضهم فليس منا، شيعتنا ينظرون بنور الله، ويتقلبون في رحمة الله، ويفوزون بكرامة الله»[1].

عن أبي الحسن عليه السلام يقول: «من عادى شيعتنا فقد عادانا، ومن والاهم فقد والانا، لأنهم منا، خلقوا من طينتنا، من أحبهم فهو منّا، ومن أبغضهم فليس منّا. شيعتنا ينظرون بنور الله، ويتقلبون في رحمة الله ويفوزون

---

(١) بحار الأنوار: ١٦٨/٦٨.

بكرامة الله، ما من أحد من شيعتنا يمرض إلا مرضنا لمرضه، ولا أغتم إلا اغتممنا لغمه، ولا يفرح إلا فرحنا لفرحه، ولا يغيب عنا أحد من شيعتنا أين كان في شرق الأرض أو غربها وترك دَيناً فهو علينا، ومن ترك منهم مالاً فهو لورثته. شيعتنا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويحجون البيت الحرام، ويصومون شهر رمضان ويوالون أهل البيت، ويتبرءون من أعدائهم، أُولئك أهل الإيمان والتقى، وأهل الورع والتقوى.

من رد عليهم فقد رد على الله، ومن طعن عليهم فقد طعن على الله، لأنهم عباد الله حقاً، وأولياؤه صدقاً، والله إن أحدهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر، فيشفّعه الله فيهم لكرامته على الله عزّوجل»[1].

الحقوق المتبادلة بين أهل البيت(ع) وشيعتهم

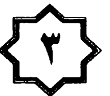
وليس فقط يبادل أهل البيت(ع) شيعتهم في الحبّ والولاء لهم ولأوليائهم، وفي البغض والبراءة لأعدائهم، وإنّما يبادلونهم في الحقوق أيضاً، فكما أن لأهل البيت(ع) حقوق على شيعتهم في هدايتهم ودلالتهم إلى الله، وتعليمهم لحدود الله، وتأديبهم بآداب العبودية... كذلك لشيعتهم عليهم حقوق.

روى أبو قتادة عن أبي عبدالله(ع) قال: «حقوق شيعتنا علينا أوجب من حقوقنا عليهم. قيل: وكيف ذلك يا بن رسول الله، فقال: لأنهم يصابون فينا ولا نصاب فيهم»[2].

---

(١) بحار الأنوار: ١٦٨/٦٨ عن صفات الشيعة: ١٦٣.

(٢) بحار الأنوار: ٢٤/٦٨ عن أمالي الطوسي: ٣٦٣/١.



شروط الإنتماء

والولاء لأهل البيت عليهم السلام

١ ـ كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا لنا شيناً.

٢ ـ أهل البيت عليهم السلام يشفعون عند الله ولا يغنون عن الله.

٣ ـ الورع والتقوى.

٤ ـ التعبّد.

٥ ـ رهبان بالليل أُسود بالنهار.

٦ ـ أصحاب إحدى وخمسين ركعة في الليل والنهار .

٧ ـ التواصل والتعاطف فيما بينهم.

٨ ـ الحقوق المتبادلة بين المؤمنين.

٩ ـ حرمة المؤمن وحبه ونصيحته والتعاطف معه .

١٠ ـ التسامح فيما بين المؤمنين .

١١ ـ لا تؤذوا أوليائنا ولا يجرح بعضكم بعضاً.

١٢ ـ المؤمن للمؤمن كالجسد الواحد.

١٣ ـ التواصل والتعايش بإحسان مع عامة المسلمين .

١٤ ـ الاعتدال والتوسط والموازنة.

١٥ ـ الانضباط الأمني والسياسي.

الشروط العامة للإنتماء والولاء لأهل البيت(ع)

القيمة الّتي تحدثنا عنها للإنتماء إلى أهل البيت(ع) والولاء لهم مشروطة بشروط عامة. ولا تؤتي الولاء والإنتماء ثمراتها إلا عندما تتحقق هذه الشروط. ومن هذه الشروط التفقه، والتعبد، والتقوى، والورع، والتواصل مع المؤمنين وعامة المسلمين والانضباط، والأدب وحسن التعامل والتعاشر مع الناس والأمانة وصدق الحديث.

ومن دون ذلك لن يكون الولاء ولاءً حقاً، فإنّ الولاء الحقّ هو الاتّباع الصادق لأهل البيت(ع).

وهذه النقاط من تعليمات أهل البيت(ع) لشيعتهم وأتباعهم فاستمع إليهم:

كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا لنا شيناً

يطلب أئمة أهل البيت(ع) من شيعتهم أن يكونوا زيناً لهم، ولا يكونوا شيناً عليهم، فإنهم إذا تخلقوا بخلق الإسلام، وتأدبوا بأدبه مدح الناس أهل البيت(ع) وقالوا عنهم: ما أحسن تربيتهم وتهذيبهم لشيعتهم. وإذا عرف الناس عنهم سوءاً في التعامل والأخلاق والآداب، وعدم القيام بحدود الله وحلاله وحرامه عابوا أهل البيت(ع) بسببهم.

عن سليمان بن مهران قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد(ع) وعنده نفر من الشيعة، وهو يقول: «معاشر الشيعة: كونوا لنا زيناً، ولا

تكونوا علينا شيناً. قولوا للناس حسنا، واحفظوا ألسنتكم وكفّوها عن الفضول وقبح القول»[١].

وعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام:

«يا معشر الشيعة إنكم قد نُسبتم إلينا. كونوا لنا زينا، ولا تكونوا علينا شيناً...»[٢]

وعنه عليه السلام أيضاً: «رحم الله عبداً حبّبنا إلى الناس، ولا يبغّضنا إليهم، وأيم الله لو يرون محاسن كلامنا لكانوا أعز، وما استطاع أحد أن يتعلق عليهم بشيء»[٣].

وعنه عليه السلام أيضاً: «رحم الله عبداً حبّبنا إلى الناس ولم يبغّضنا إليهم، أما والله لو يروون محاسن كلامنا لكانوا به أعز، وما استطاع أحد أن يتعلق عليهم بشيء، ولكن أحدهم يسمع الكلمة فيحطّ إليها عشراً»[٤].

وعنه عليه السلام: «يا عبد الأعلى... فأقرأهم السلام ورحمة الله ـ يعني الشيعة ـ وقل: قال لكم: رحم الله عبداً استجر مودّة الناس إلى نفسه والينا، بأن يظهر لهم ما يعرف ويكف عنهم ما ينكرون»[٥].

وعنه عليه السلام أيضاً: «معاشر الشيعة كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفوها عن الفضول وقبيح القول»[٦].

---

(١) أمالي الطوسي: ٥٥/٢، بحار الأنوار: ١٥١/٦٨.

(٢) مشكاة الأنوار: ٦٧.

(٣) مشكاة الأنوار: ١٨٠.

(٤) روضة الكافي: ٢٩٣.

(٥) بحار الأنوار: ٧٧/٢.

(٦) بحار الأنوار: ٣١٠/٧١.

أهل البيت عليهم السلام يشفعون عند الله ولا يغنون عن الله

إن أهل البيت يغنون بالله، ولا يُغنونَ عن الله، ويشفعون عند الله بإذن الله، ولا يشفعون لأحد من دون إذنه.

فمن أراد أن يستغني بحبهم وولائهم، والإنتماء إليهم عن طاعة الله وعبادته وعن التقوى والورع، فقد سلك غير مسلك أهل البيت عليهم السلام وذهب غير مذهبهم. وسوف لا يجني من ولاء أهل البيت ومحبتهم ما كان يرجوه.

عن عمرو بن سعيد بن بلال، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام ونحن جماعة فقال: «كونوا النمرقة الوسطى (النمرقة: النمط والطريقة) يرجع إليكم الغالي ويلحق بكم التالي. واعلموا يا شيعة آل محمد ما بيننا وبين الله من قرابة، ولا لنا على الله حجة، ولا يقرب إلى الله إلاّ بالطاعة. من كان مطيعاً نفعته ولايتنا، ومن كان عاصياً لم تنفعه ولايتنا. ثم التفت إلينا وقال: لا تغتروا ولا تفترقوا»[1].

فمن يريد أهل البيت عليهم السلام، وينتمي إلى مدرستهم، ويواليهم يجب أن يعلم أنهم لا يملكون لأنفسهم ولغيرهم نفعاً ولا ضراً إلا بإذن الله ومشيئته، وأنهم عباد مخلوقون لله مقربون إلى الله، فمن أراد أهل البيت عليهم السلام ومن كان يرجو من محبتهم التقرب إلى الله والشفاعة عند الله فليتق الله، ويسلك سبيل الصالحين.

عن عليّ عليه السلام: «اتقوا الله، ولا يخدعنكم إنسان، ولا يكذبنكم إنسان، فإنما ديني دين واحد، دين آدم الذي ارتضاه الله، وإنما أنا عبد مخلوق، ولا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً، إلا ما شاء الله، وما أشاء إلا ما شاء الله»[2].

---

(١) بحار الأنوار: ١٧٨/٦٨.

(٢) بحار الأنوار: ٨٩/٦٨ عن المحاسن للبرقي: ١٤٨.

الورع والتقوى

لا نعرف وصية لأهل البيت عليهم السلام لشيعتهم أكثر من الوصية بالتقوى والورع. وشيعتهم هم الذين يتبعونهم ويشايعونهم في ذلك، وأشدهم ورعاً وتقوى أقربهم موقعاً منهم، فإنّ جوهر التشيع التبعية والتأسي والإقتداء، ومن يريد الإقتداء بأهل البيت عليهم السلام لا يجد غير طاعة الله والورع والتقوى سبيلاً إلى الإقتداء بهم.

عن أبي الصباح الكناني قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنا نعيَّر بكم بالكوفة، فيقال لنا جعفرية، فغضب أبو عبدالله عليه السلام فقال: «إن أصحاب جعفر منكم لقليل. إنّما أصحاب جعفر من اشتد ورعه وعمل لخالقه»[١].

وروى عمرو بن يحيى بن بسام قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ أحقّ الناس بالورع آل محمد وشيعتهم»[٢].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوقار والأمانة، وأهل الزهد والعبادة. أصحاب إحدى وخمسون ركعة في اليوم والليلة، القائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يحجّون البيت.... ويجتنبون كل محرّم»[٣].

وعنه عليه السلام أيضاً: «والله ما شيعة عليّ عليه السلام إلاّ من عفّ بطنه وفرجه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه»[٤].

وعنه عليه السلام أيضاً: «يا شيعة آل محمد، انه ليس منا من لم يملك نفسه عند الغضب، ولم يحسن صحبة من صحبه، ومرافقة من رافقه ومصالحة

---

(١) بحار الأنوار: ١٦٦/٦٨.
(٢) بشارة المصطفى: ١٧١.
(٣) بحار الأنوار: ١٦٧/٦٨.
(٤) بحار الأنوار: ١٦٨/٦٨.

من صالحه»[1].

وعنه عليه السلام أيضاً: «ليس من شيعتنا من يكون في مصر، يكون فيه آلاف ويكون في المصر أورع منه»[2].

وعن كليب بن معاوية الأسدي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «والله إنكم لعلى دين الله ودين ملائكته فأعينوني بورع واجتهاد»[3].

أيضاً عن كليب الأسدي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «أما والله إنكم لعلى دين الله وملائكته، فأعينوني على ذلك بورع واجتهاد. عليكم بصلاة الليل والعبادة، عليكم بالورع»[4].

روى صاحبُ بصائر الدرجات عن مرازم، قال دخلت المدينة فرأيت جارية في الدار الّتي نزلتها فأعجبتني فأبت أن تزوجني نفسها. قال: فجئت بعد العتمة، فقرعت الباب، فكانت هي الّتي فتحت لي فوضعت يدي على صدرها، فبادرتني حتّى دخلت. فلما أصبحت دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقال: «يا مرازم ليس من شيعتنا من خلا ثم لم يرع قلبه»[5].

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، فلاناً ينظر إلى حرم جاره، فإن أمكنه مواقعة حرام لم يرع عنه، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رجل آخر: أنه ممن يعتقد موالاتك وموالاة عليّ، ويبرأ من أعدائكما، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقل انه من شيعتنا، فإنه كذب، إن شيعتنا من تبعنا في أعمالنا، وليس هذا الذي ذكرته في هذا الرجل من أعمالنا»[6].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٦٦/٧٨.

(٢) بحار الأنوار: ١٦٤/٦٨.

(٣) بحار الأنوار: ٧٨/٦٨.

(٤) بشارة المصطفى: ٥٥ و ١٧٤، وبحار الأنوار: ٨٧/٦٨.

(٥) بحار الأنوار: ١٥٣/٦٨ عن بصائر الدرجات: ٢٤٧.

(٦) بحار الأنوار: ١٥٥/٦٨.

وقال رجل للحسن بن عليّ عليه السلام: إني من شيعتكم، فقال الحسن بن عليّ: «يا عبدالله، إن كنت تابعاً لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً فقد صدقت، وان كنت بخلاف ذلك فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها. لا تقل لنا أنا من شيعتكم، ولكن قل أنا من مواليكم ومحبيكم ومعادي أعدائكم»[1].

وقال رجل للحسين عليه السلام: يا بن رسول أنا من شيعتكم قال عليه السلام: «إن شيعتنا من سلمت قلوبهم من كل غش وغل دغل»[2].

ومن كتاب أبي القاسم بن قولويه عن محمد بن عمر بن حنظلة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ليس من شيعتنا من قال بلسانه، وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، لكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه وتبع آثارنا وعمل بأعمالنا أُولئك شيعتنا»[3].

التعبّد

عن أبي المقدام قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «يا أبا المقدام إنما شيعة عليّ عليه السلام الشاحبون، الناحلون، الذابلون، الذابلة شفاههم، نحيفة بطونهم، متغيرة ألوانهم، مصفرة وجوههم، إذا جنهم الليل اتخذوا الأرض فراشاً واستقلوا الأرض بجباههم. كثير سجودهم، كثيرة دموعهم، كثير دعاؤهم، كثير بكاؤهم، يفرح الناس وهم محزونون»[4].

وروي إن أميرالمؤمنين عليه السلام خرج ذات ليلة من المسجد وكانت ليلة مقمرة فأم الجبانة، ولحقه جماعة يقتفون أثره، فوقف عليهم ثم قال: من

---

(١) بحار الأنوار: ١٥٦/٦٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) بحار الأنوار: ١٦٤/٦٨ ح١٣.

(٤) الخصال: ٥٨/٢، بحار الأنوار: ١٤٩/٦٨ ـ ١٥٠

أنتم؟ قالوا: شيعتك يا أميرالمؤمنين، فتفرّس في وجوههم، ثم قال: فمالي لا أرى عليكم سيماء الشيعة؟ قالوا: وما سيماء الشيعة يا أميرالمؤمنين؟ فقال عليه السلام: صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من البكاء، حدب الظهور من القيام، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، عليهم غبرة الخاشعين(١).

وعن أبي نصير عن الصادق عليه السلام: «شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة، القائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يزكون أموالهم، ويحجّون البيت، ويجتنبون كل محرّم»(٢).

وروى الشيخ الصدوق في صفات الشيعة بإسناده عن محمد بن صالح، عن أبي العباس الدينوري، عن محمد ابن الحنفية قال: «لما قدم أميرالمؤمنين عليه السلام البصرة بعد قتال أهل الجمل دعاه الأحنف بن قيس، واتخذ له طعاماً، فبعث إليه صلوات الله عليه وإلى أصحابه، فأقبل، ثم قال: يا أحنف أدع لي أصحابي، فدخل عليه قوم متخشعون كأنهم شنان بوالي(٣) فقال الأحنف بن قيس: يا أميرالمؤمنين ما هذا الذي نزل بهم؟ أمن قلة الطعام؟ أومن هول الحرب؟

فقال صلوات الله عليه: لا يا أحنف إن الله سبحانه أجاب(٤) أقواماً تنسكوا له في دار الدنيا تنسك من هجم على يوم القيامة، من قبل أن يشاهدوها، فحملوا أنفسهم على مجهودها، وكانوا إذا ذكروا صباح يوم

---

(١) بحار الأنوار: ٦٨/١٥٠ ـ ١٥١، آمالي الطوسي: ١/٢١٩.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨/١٦٧، صفات الشيعة: ١٦٢ ـ ١٦٤.

(٣) الشنان جمع الشن ـ بالفتح ـ القربة الخلقة الصغيرة، لكن يكون الماء فيها أبرد من غيرها، والبوالي صفة تأكيدية.

(٤) أثاب خ ل، وفي المصدر المطبوع: أحبّ.

العرض على الله سبحانه توهموا خروج كتاب يبدو فيه على رؤوس الأشهاد فضايح ذنوبهم، فكادت أنفسهم تسيل سيلاناً، أو تطير قلوبهم بأجنحة الخوف طيراناً، وتفارقهم عقولهم إلى الله سبحانه غلياناً.

فكانوا يحنّون حنين الواله في دجى الظلم، وكانوا يفجعون من خوف ما أوقفوا عليه أنفسهم، فمضوا ذبل الأجسام، حزينة قلوبهم، كالحة وجوههم، ذابلة شفاههم، خامصة بطونهم، تراهم سكارى، سُمّار وحشة الليل، متخشعون كأنهم شنان بوالي. قد أخلصوا لله أعمالاً سراً وعلانيّة، فلم تأمن من فزعه قلوبهم. فلو رأيتهم في ليلتهم وقد نامت العيون، وهدأت الأصوات، وسكنت الحركات، وقد نهنههم هول يوم القيامة بالوعيد عن الرقاد كما قال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾[1]. فاستيقظوا لها فزعين، وقاموا إلى صلواتهم مُعْولين، باكين تارة، وأُخرى مسبحين، يبكون في محاريبهم ويرنون، يصطفون ليلة مظلمة بهماء يبكون.

فلو رأيتهم يا أحنف في ليلتهم، قياماً على أطرافهم منحنية ظهورهم، يتلون أجزاء القرآن لصلواتهم، قد اشتدت إعوالهم ونحيبهم وزفيرهم، إذا زفروا خلت النار قد أخذت منهم إلى حلاقيمهم، وإذا أعولوا حسبت السلاسل قد صفدت في أعناقهم.

فلو رأيتهم في نهارهم اذاً لرأيت قوماً يمشون على الأرض هوناً، ويقولون للناس حسناً ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[2] قد قيّدوا أقدامهم من التهمات، وأبكموا ألسنتهم أنَ يتكلموا عن أعراض الناس، وسجموا أسماعهم أن يلجها

---

(١) الأعراف: ٩٧.

(٢) الفرقان: ٦٣ و ٧٢.

خوض خائض، وكحلوا أبصارهم بغضّ البصر عن المعاصي، واقتحموا دار السلام الّتي من دخلها كان آمناً من الريب والأحزان»[١].

وعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «كان عليّ بن الحسين عليه السلام قاعداً في بيته، إذ قرع قوم عليه الباب، فقال: يا جارية انظري من في الباب. فقالوا: قوم من شيعتك، فوثب عجلاً حتّى كاد أن يقع، فلما فتح الباب ونظر إليهم رجع فقال: فأين السمت في الوجوه؟ أين أثر العبادة؟ أين سيماء السجود؟ إنما شيعتنا يعرفون بعبادتهم وشعثهم. قد قرحت العبادة منهم الآناف، ودثرت الجباه والمساجد، خمص البطون، وذبل الشفاه، قد هيجت العبادة وجوههم، وأخلق سهر الليل وقطع الهواجر جثثهم، المسبحون إذا سكت الناس، والمصلون إذا نام الناس، والمحزونون إذا فرح الناس»[٢].

عن نوف بن عبدالله البكاليّ قال: قال لي عليّ عليه السلام: «يا نوف خلقنا من طينة طيبة، وخلق شيعتنا من طينتنا، فإذا كان يوم القيامة ألحقوا بنا.

قال نوف: فقلت: صف لي شيعتك يا أميرالمؤمنين، فبكى لذكر شيعته وقال: يا نوف شيعتي والله الحلماء، العلماء بالله ودينه، العاملون بطاعته وأمره، المهتدون بحبه، أنضاء عبادة، أحلاس زهادة، صفر الوجوه من التهجد، عمش العيون من البكاء، ذبل الشفاه من الذكر، خمص البطون من الطوى، تعرف الربانيّة في وجوههم والرهبانيّة في سمتهم، مصابيح كل ظلمة، وريحان كل قبيل، شرورهم مكنونة، وقلوبهم محزونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، أنفسهم منهم في عناء، والناس منهم في راحة، فهم الكاسة الألباء، والخالصة النجباء، إن شهدوا

---

(١) بحار الأنوار: ٦٨/١٧٠ ـ ١٧١، عن صفات الشيعة: ١٨٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨/١٦٩ ح٣٠.

لم يعرفوا، وان غابوا لـم يفتقـدوا، أولئـك شـيعتي الأطيبـون وإخـواني الأكرمون، ألا هاه شوقاً إليهم»[1].

رهبان بالليل أُسود بالنهار

يصف نوف ليلاً كان قد نام مع عليّ عليه السلام على سطح داره، فقام الإمام للصلاة، وأخذ ينظر إلى النجوم كالواله، ثم قال: «يا نوف أراقد أنـت أم رامق، فقال بل رامق، فقال يا نوف: أتدري مَـن شـيعتي، شـيعتي الـذبل الشفاه، الخمص البطون، الذي تعرف الرهبانيّة والربانيّـة فـي وجـوههم، رهبان بالليل، أسود بالنهار. الذين إذا جنهم الليل اتّزروا على أوسـاطهم، وارتدوا على أطـرافهم، وصـفّوا أقـدامهم، وافترشـوا جبـاههم، تجـري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى الله في فكاك رقـابهم، أمـا النهـار فحلماء علماء أبرار أتقياء»[2].

والتعبير عنهم بـ (الرهبان بالليل والأسود في النهار) تعبير دقيـق ومعبـر عن حالة الموازنة الدقيقة في تعاملهم بالليل والنهار. فهم أصـحاب دولـة الليـل، إذا جـنّهم الليـل، تـراهم ركّعـاً سـجداً، خاشـعين بـين يـدي الله، يتضرعون إلى الله في فكاك رقابهم من النار.

وإذا حلّ بهم النهار انقلبوا إلـى أبطـال فـي سـاحات المواجهـة علمـاء حلماء أتقياء، يصمدون ويصبرون، ويقاومون.

سمة العبيد من الخشوع عليهم لله إن ضـــمتهم الأســـحار
فإذا ترجّلت الضحى شهدت لهم بـيض القواضـب أنهـم أحـرار

ذكر في الليل، وتقوى في النهار. وهذا هو روح الموازنة بين الليـل والنهار في حياة هؤلاء.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٨/١٧٧، عن أمالي الطوسي: ٢/١٨٨.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨/١٩١.

أصحاب إحدى وخمسين ركعة في الليل والنهار

عن الإمام الصادق عليه السلام: «شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة، الصائمون بالنهار، يزكّون أموالهم، ويحجّون البيت، ويجتنبون كل محرّم»[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع والتخشع وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله...»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «شيعتنا الشاحبون الذابلون الناحلون، الذين إذا جنهم الليل استقبلوه بحزن»[٣].

وعن أبي حمزة الثمالي، عن يحيى بن أُم الطويل أنه أخبره، عن نوف البكالي قال: عرضت لي إلى أميرالمؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام حاجة فاستبعت إليه جندب بن زهير والربيع بن خيثم وابن أخته همام بن عبادة بن خيثم، فأقبلنا معتمدين لقاء أميرالمؤمنين عليه السلام فألفيناه حين خرج يؤم المسجد، فأفضى ونحن معه إلى نفر مبدّنين قد أفاضوا في الأحدوثات تفكهاً، وبعضهم يلهي بعضاً، فلما أشرف لهم أميرالمؤمنين عليه السلام أسرعوا إليه قياماً، فسلموا، فردَّ التحية، ثم قال: من القوم؟ قالوا: أناس من شيعتك يا أميرالمؤمنين، فقال لهم خيراً ثم قال: يا هؤلاء مالي لا أرى فيكم سمة شيعتنا، وحلية أحبتنا أهل البيت؟ فأمسك القوم حياءً.

قال نوف: فأقبل عليه جندب والربيع قالا: ما سمة شيعتكم وصفتهم

---

(١) بحار الأنوار: ٦٨/١٦٧.

(٢) تحف العقول: ٢١٥.

(٣) بحار الأنوار: ٦٨/١٨٦.

يا أمير المؤمنين؟ فتثاقل عن جوابهما، وقال: اتقيا الله أيها الرجلان وأحسنا فـ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾.

فقال همام بن عبادة وكان عابداً مجتهداً: أسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصكم وحباكم، وفضلكم تفضيلاً إلاّ أنبأتنا بصفة شيعتكم، فقال: لا تُقسم، فأُنبؤكم جميعاً، وأخذ بيد همام فدخل المسجد فسبح ركعتين أوجزهما وأكملهما وجلس وأقبل علينا، وحفّ القوم به، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال:

«أما بعد فإن الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، خلق خلقه فألزمهم عبادته وكلّفهم طاعته، وقسم بينهم معايشهم، ووضعهم في الدنيا بحيث وضعهم، وهو في ذلك غنّي عنهم، لا تنفعه طاعة من أطاعه، ولا تضره معصية من عصاه منهم، لكنه علم تعالى قصورهم عما تصلح عليه شؤونهم، وتستقيم به دهماؤهم في عاجلهم وآجلهم، فارتبطهم بإذنه في أمره ونهيه، فأمرهم تخييراً، وكلفهم يسيراً، وأثابهم كثيراً، وأماز سبحانه بعدل حكمه وحكمته، بين الموجف من أنامه إلى مرضاته ومحبته، وبين المبطي عنها والمستظهر على نعمته منهم بمعصيته. فذلك قول الله عزّوجلّ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1].

ثم وضع أمير المؤمنين عليه السلام يده على منكب همام بن عبادة فقال: ألا من سأل عن شيعة أهل البيت، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم في كتابه مع نبيه تطهيراً، فهم العارفون بالله، العاملون بأمر الله، أهل الفضائل والفواضل منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، بخعوا لله تعالى بطاعته، وخضعوا له بعبادته، فمضوا غاضين

---

(١) الجاثية ٢١

أبصارهم عما حرم الله عليهم، واقفين أسماعهم على العلم بدينهم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت منهم في الرخاء، رضى عن الله بالقضاء، فلولا الآجال الّتي كتب الله لهم لن تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلى لقاء الله والثواب، وخوفاً من العقاب.

عظم الخالق في أنفسهم، وصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن رآها فهم على أرائكها متكئون، وهم والنار كمن أدخلها فهم فيها يعذبون، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحوائجهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة ومعونتهم في الإسلام عظيمة. صبروا أياماً قليلة فأعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسّرها لهم ربّ كريم، أناس أكياس، أرادتهم الدنيا فلم يريدونها، وطلبتهم فأعجزوها.

أما الليل فصافون أقدامهم، تالون لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً، يعظون أنفسهم بأمثاله، ويستشفون لدائهم بدوائه، تارة، وتارة مفترشون جباههم وأكفّهم وركبهم وأطراف أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم، يمجدون جبارا عظيماً ويجأرون إليه جل جلاله في فكاك رقابهم.

هذا ليلهم، فأما النهار فحلماء علماء بررة أتقياء، براهم خوف باريهم فهم أمثال القداح، يحسبهم الناظر إليهم مرضى وما بالقوم من مرض، أو قد خولطوا، وقد خالط القوم من عظمة ربهم، وشدّة سلطانه أمر عظيم طاشت له قلوبهم، وذهلت منه عقولهم.

فإذا استقاموا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية، لا يرضون له بالقليل ولا يستكثرون له الجزيل.

فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إن زكي أحدهم خاف مما يقولون، وقال: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي، اللهم لا

تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، فإنك علام الغيوب، وساتر العيوب.

هذا ومن علامة أحدهم أن ترى له قوة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً على علم، وفهماً في فقه، وعلماً في حلم، وقصداً في غنى، وتجملاً في فاقة، وصبراً في شدة، وخشوعاً في عبادة، وإعطاءً في حقّ، ورفقاً في كسب، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، واعتصاماً في شهوة، وبراً في استقامة.

لا يغره ما جهله، ولا يدع إحصاء ما عمله، يستبطئ نفسه في العمل، وهو من صالح عمله على وجل.

يصبح وشغله الذكر، ويمسي وهمه الشكر، يبيت حذراً من سنة الغفلة، ويصبح فرحاً لما أصاب من الفضل والرحمة.

إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره، لم يعطها سؤلها فيما إليه تشرح. رغبته فيما يبقى، وزهادته فيما يفنى.

قد قرن العمل بالعلم والعلم بالحلم.

دائماً نشاطه، بعيداً كسله، قريباً أمله. قليلاً زلَله، متوقعاً أجله، خاشعاً قلبه، ذاكراً ربّه، قانعةً نفسه، عازباً جهله محرزاً دينه، ميتاً داؤه، كاظماً غيظه، صافياً خلقه، آمناً منه جاره، سهلاً أمره، معدوماً كبره، بيّناً صبره، كثيراً ذكره، لا يعمل شيئاً من الخير رئاءً، ولا يتركه حياءً. الخير منه مأمول، والشرّ منه مأمون.

إن كان بين الغافلين كتب في الذاكرين، وإن كان مع الذاكرين لن يكتب من الغافلين، يعفوا عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه.

قريب معروفه، صادق قوله، حسن فعله، مقبل خيره مدبر شره، غائب

مكره، في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحبّ، ولا يدعي ما ليس له، ولا يجحد ما عليه، يعترف بالحق قبل أن يشهد به عليه، لا يُضَيِّع ما استحفظه، ولا ينابز بالألقاب.

لا يبغي على أحد، ولا يغلبه الحسد، ولا يضار بالجار، ولا يشمت بالمصاب، مؤد للأمانات، عامل بالطاعات، سريع إلى الخيرات بطيء عن المنكرات، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويجتنبه، لا يدخل في الأمور بجهل ولا يخرج من الحقّ بعجز.

إن صمت لم يعيه الصمت، وإن نطق لن يعيه اللفظ، وإن ضحك لم يعل به صوته.

قانع بالذي قدر له، لا يجمح به الغيظ، ولا يغلبه الهوى، ولا يقهره الشح، يخالط الناس بعلم، ويفارقهم بسلم، يتكلم ليغنم، ويسأل ليفهم، نفسه منه في عناء والناس منه في راحة، أراح الناس من نفسه، واتعبها لآخرته.

إن بغي عليه صبر، ليكون الله تعالى هو المنتصر له، يقتدي بمن سلف من أهل الخير قبله، فهو قدوة لمن خلف بعده.

أُولئك عمال الله، ومطايا أمره وطاعته، وسرج أرضه وبريته، أُولئك شيعتنا وأحبتنا، ومنا ومعنا، ألا هاه شوقاً إليهم».

فصاح همام بن عبادة صيحة وقع مغشياً عليه، فحرّكوه فإذا هو قد فارق الدنيا رحمة الله عليه.

فاستعبر الربيع باكياً وقال: لأسرع ما أودت موعظتك يا أميرالمؤمنين بأبن أخي، ولوددت لو أني بمكانه.

فقال أميرالمؤمنينﷺ: هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها، أما والله

لقد كنت أخافها عليه. فقال له قائل: فما بالك أنت يا أميرالمؤمنين؟

فقال: ويحك، إن لكل واحد أجل لم يعدوه، وسبباً لم يجاوزه، فمهلاً لا تعد لها، فإنما نفثها على لسانك الشيطان. قال: فصلى عليه أميرالمؤمنين عليه السلام عشية ذلك اليوم وشهد جنازته ونحن معه"[1].

التواصل والتعاطف فيما بينهم

من هذه الشروط التواصل والتعاطف والتعاون فيما بينهم. ومهما بالغوا في التواصل والتعاون فيما بينهم كان الله في عونهم جميعاً وآمنهم من أعدائهم، وحفظهم ونصرهم، وكانت يد الله على أيديهم ومع أيديهم، إذا كانت أيديهم مجتمعة.

دخل سدير الصيرفي على أبي عبدالله عليه السلام وعنده جماعة من أصحابه فقال: «يا سدير لا تزال شيعتنا مرعيين محفوظين مستورين معصومين ما أحسنوا النظر لأنفسهم فيما بينهم وبين خالقهم وصحت نياتهم لأئمتهم وبرّوا إخوانهم فعطفوا على ضعيفهم وتصدقوا على ذوي الفاقة منهم. إنّا لا نأمر بظلم ولكن نأمركم بالورع، الورع، الورع. والمواساة، المواساة لإخوانكم، فإن أولياء الله لم يزالوا مستضعفين منذ خلق الله آدم»[2].

وعن محمد بن عجلان قال: كنت مع أبي عبدالله عليه السلام فدخل رجل فسلّم، فسأله: «كيف من خلّفت من إخوانك؟ فأحسن الثناء وزكّى وأطرى، فقال: كيف عيادة أغنيائهم لفقرائهم؟، قال: قليلة، قال: فكيف مواصلة أغنيائهم لفقرائهم من ذات أيديهم؟ فقال: إنّك تذكر أخلاقاً ما

---

(١) بحار الأنوار: ٦٨/١٩٢ ـ ١٩٥، وروى الشريف الرضي هذه الرواية في النهج باختلاف يسير.

(٢) المحاسن: ١٥٨، بحار الأنوار: ٦٨/١٥٣ ـ ١٥٤.

هي فيما عندنا. قال: فكيف يزعم هؤلاء أنهم لنا شيعة»[١].

وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «شيعة عليّ عليه السلام هم الذين لا يبالون في سبيل الله أوقع الموت عليهم أو وقعوا على الموت، وشيعة عليّ عليه السلام هم الذين يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وهم الذين لا يراهم الله حيث نهاهم، ولا يفقدهم حيث أمرهم، شيعة عليّ عليه السلام هم الذين يقتدون بعليّ عليه السلام في إكرام إخوانهم المؤمنين»[٢].

وعن الصادق عليه السلام: «تواصلوا وتباروا وكونوا إخوة بررة كما أمركم الله عزّوجلّ»[٣].

وعنه عليه السلام أيضاً: «اتقوا الله وكونوا إخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين»[٤].

وعن العلاء بن فضيل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: «عظّموا أصحابكم ـ ووقروهم ـ ولا يتهجم بعضكم لبعض، ولا تضاروا، ولا تحاسدوا وإياكم والبخل، وكونوا عباد الله المخلصين»[٥].

وعن أبي إسماعيل قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن الشيعة عندنا كثير. فقال: «فهل يعطف الغني على الفقير؟ وهل يتجاوز المحسن على المسيء ويتواسون؟ فقلت لا. فقال: ليس هؤلاء شيعة. الشيعة من يفعل هذا»[٦]

---

(١) بحار الأنوار: ١٦٨/٦٨.

(٢) ميزان الحكمة: ٢٣١/٥.

(٣) أصول الكافي: ١٧٥/٢.

(٤) أصول الكافي: ١٢٠/٢.

(٥) أصول الكافي: ١٧٣/٢

(٦) بحار الأنوار: ٢٥٤/٧٤

الحقوق المتبادلة بين المؤمنين

روى ثقة الإسلام الكليني عن أبي المأمون الحارثي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما حقّ المؤمن على المؤمن؟ قال: «إن من حق المؤمن على المؤمن المودّة له في صدره، والمواساة له في ماله، والخلف له في أهله، والنصرة له على من ظلمه، وإن كان نافلة في المسلمين وكان غائباً، أخذ له بنصيبه، وإذا ماتَ الزيارةُ إلى قبره، وأن لا يظلمه وأن لا يغشه وأن لا يخونه وأن لا يخذله وأن لا يكذّبه وأن لا يقول له أف، وإن قال له أف فليس بينهما ولاية، وإذا قال له أنت عدوي فقد كفر أحدهما، وإذا اتهمه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء»[1].

وروى الكليني أيضاً عن أبان بن تغلب قال: «كنت أطوف مع أبي عبدالله عليه السلام فعرض لي رجل من أصحابنا كان يسألني الذهاب معه في حاجة فأشار إليّ فكرهت أن أدع أبا عبدالله عليه السلام واذهب إليه فبينما أنا أطوف إذ أشار إليّ أيضاً فرآه أبو عبدالله عليه السلام فقال: يا أبان إياك يريد هذا؟ قلت: نعم، قال: فمن هو؟ قلت: رجل من أصحابنا، قال: فاذهب إليه، قلت: فأقطع الطواف؟ قال: نعم، قلت: وإن كان طواف الفريضة، قال: نعم، قال: فذهبت معه.

ثم دخلت عليه بعد فسألته فقلت: أخبرني عن حقّ المؤمن على المؤمن؟ فقال: يا أبان لا تردّه، قلت: بلى جعلت فداك قال: يا أبان لا تردّه، قلت: بلى جعلت فداك فلم أزل أُردّد عليه فقال: يا أبان تقاسمه شطر مالك، ثم نظر إليّ فرأى ما دخلني فقال: يا أبان أما تعلم أن الله عزّوجلّ قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟ قلت: بلى جعلت فداك، فقال:

---

(١) أصول الكافي: ١٧١/٢، بحار الأنوار: ٢٤٨/٧٤

أمّا إذا أنت قاسمته فلم تؤثره بعد، إنما أنت وهو سواء إنما تؤثره إذا أنت أعطيته من النصف الآخر»[١].

وسئل عن الرضا عليه السلام ما حقّ المؤمن على المؤمن؟ فقال: «إنّ من حقّ المؤمن على المؤمن: المودة له في صدره، والمواساة له في ماله، والنصرة له على من ظلمه، وإن كان فيء للمسلمين وكان غائباً أخذ له بنصيبه، وإذا مات فالزيارة إلى قبره، ولا يظلمه، ولا يغشّه، ولا يخونه، ولا يخذله، ولا يغتابه، ولا يكذّبه، ولا يقول له أف فإذا قال له أف فليس بينهما ولاية، وإذا قال له أنت عدوي فقد كفر أحدهما، وإذا اتهمه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء.

ومن أطعم مؤمناً كان أفضل من عتق رقبة، ومن سقى مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن كسى مؤمناً من عري كساه الله من سندس وحرير الجنة، ومن أقرض مؤمناً قرضاً يريد به وجه الله عزّوجلّ حسب له بحساب الصدقة حتّى يؤدّيه إليه، ومن فرّج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرّج الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن قضى لمؤمن حاجة كان أفضل من صيامه واعتكافه في المسجد الحرام، وإنما المؤمن بمنزلة الساق من الجسد».

إنّ أبا جعفر الباقر عليه السلام استقبل الكعبة وقال: «الحمد لله الذي كرّمك وشرّفك وعظّمك، وجعلك مثابة للناس وأمناً، والله لحرمة المؤمن أعظم حرمة منك».

ولقد دخل عليه رجل من أهل الجبل فسلّم عليه، فقال له عند الوداع: أوصني فقال: «أوصيك بتقوى الله وبرّ أخيك المؤمن فأحبب له ما تحب لنفسك، وإن سألك فأعطه، وان كفّ عنك فاعرض عليه، ولا تملّه فإنه

---

(١) أصول الكافي: ١٧١/٢، بحار الأنوار: ٢٤٩/٧٤

لا يملّك، وكن له عضداً، فإن وَجَدَ عليك فلا تفارقه حتّى تسلّ سخيمته، فإن غاب فاحفظه في غيبته وإن شهد فاكنفه، وأعضده، وزره وأكرمه، وألطف به، فإنه منك وأنت منه، وفطرك لأخيك المؤمن، وإدخال السرور عليه أفضل من الصيام وأعظم أجراً»(١).

وروي أيضاً في حقوق الإخوان بعضهم على بعض عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لا يشبع ويجوع أخوه، ولا يروى ويعطش أخوه، ولا يكتسي ويعرى أخوه، وإذا احتجت فسله وإن سألك فأعطه ولا تملّه خيراً ولا يملّه لك، كن له ظهراً فإنه لك ظهر. إذا غاب فاحفظه في غيبته، وإذا شهد فزره، وأجلّه وأكرمه، فإنه منك وأنت منه، فإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه، حتّى تسلّ سخيمته، وإن أصابه خير فاحمد الله، وإن ابتلي فأعضده، وإن تمحّل له فأعنه، وإذا قال الرجل لأخيه أف، انقطع ما كان بينهما من الولاية، وإذا قال أنت عدوي كفر أحدهما، فإذا اتهمه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء»(٢).

وعن المعلّى بن خنيس قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما حقّ المؤمن على المؤمن؟ قال: «سبع حقوق واجبات، ما فيها حقّ إلاّ وهو عليه واجب، إن خالفه خرج من ولاية الله وترك طاعته، ولم يكن لله عزّوجلّ فيه نصيب، قال: قلت: جعلت فداك حدثني ما هن؟ قال: يا معلّى إني شفيق عليك أخشى أن تضيع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل، قلت: لا قوة إلا بالله. قال:

أيسر حقّ منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره

---

(١) بحار الأنوار: ٧٤/٢٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ٧٤/٢٣٤.

لنفسك.

والحقّ الثاني: أن تمشي في حاجته، وتبتغي رضاه، ولا تخالف قوله.

والحقّ الثالث: أن تصله بنفسك ومالك، ويدك ورجلك، ولسانك.

والحقّ الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته.

والحقّ الخامس: أن لا تشبع ويجوع، ولا تلبس ويعرى، ولا تروى ويظمأ.

والحقّ السادس: أن تكون لك امرأة وخادم وليس لأخيك امرأة ولا خادم أن تبعث خادمك فتغسل ثيابه، وتصنع طعامه، وتمهد فراشه، فإن ذلك كله إنما جعل بينك وبينه.

والحقّ السابع: أن تبر قسمه، وتجيب دعوته، وتشهد جنازته، وتعوده في مرضه، وتشخص ببدنك في قضاء حاجته، ولا تحوجه إلى أن يسألك، ولكن تبادر إلى قضاء حاجته، فإذا فعلت ذلك به، وصلت ولايتك بولايته، وولايته بولاية الله عزّوجلّ»[1].

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: «لا يكلّف المؤمن أخاه الطلب إليه إذا علم حاجته، تزاوروا، وتعاطفوا، وتبادلوا، ولا تكونوا بمنزلة المنافق الذي يصف ما لا يفعل»[2].

وعن محمد بن مسلم قال: أتاني رجل من أهل الجبل فدخلت معه على أبي عبدالله عليه السلام فقال له عند الوداع: أوصني، فقال عليه السلام: «أوصيك بتقوى الله وبرّ أخيك المسلم، وأحبّ له ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لنفسك، وإن سألك فأعطه، وإن كف عنك فاعرض عليه، لا تملّه خيراً فإنّه لا يملّك، وكن له عضداً فإنّه لك عضد، وإن وجد عليك فلا

(١) الخصال: ٦/٢.

(٢) الخصال: ١٥٧/٢.

تفارقه حتّى تسل سخيمته[1] وإن غاب فاحفظه في غيبته، وإن شهد فاكنفه وأعضده وأزره ولاطفه وأكرمه، فإنه منك وأنت منه»[2].

وعن جابر، عن أبي جعفرعليه السلام قال: «ليعن قويّكم ضعيفكم، وليعطف غنيّكم على فقيركم. ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه، واكتموا أسرارنا. ولا تحمّلوا الناس على أعناقنا»[3].

حرمة المؤمن وحبه ونصيحته والتعاطف معه

عن جعفر بن محمدعليه السلام قال: «ما عبدالله بشيء أفضل من أداء حقّ المؤمن».

وقالعليه السلام: «إن لله تبارك وتعالى حرمات: حرمة كتاب الله، وحرمة رسول اللهصلى الله عليه وآله وحرمة بيت المقدس، وحرمة المؤمن»[4].

عن عبد المؤمن الأنصاري قال: دخلت على أبي الحسن موسىعليه السلام وعنده محمد بن عبدالله بن محمد الجعفي فتبسمت إليه فقال: «أتحبه؟ قلت: نعم، وما أحببته إلا فيكم.

فقال: هو أخوك، المؤمن أخو المؤمن لأمه وأبيه»[5].

وعن نوادر الراوندي: بإسناده، عن موسى بن جعفر، عن آبائهعليهم السلام قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «المؤمن مرآة لأخيه المؤمن، ينصحه إذا غاب عنه، ويميط عنه ما يكره إذا شهد، ويوسّع له في المجلس».

---

(١) السل: الانتزاع والإخراج في رفق كسلّ السيف من الغمد وسل الشعرة من العجين، ومنه قولهم: الهدايا تسل السخائم، وتحلّ الشكائم، والسخيمة: الموجدة الضغينة. بحار الأنوار: ٢٢٥/٧٤.

(٢) أمالي الطوسي: ٩٥/١.

(٣) أمالي الطوسي: ٢٣٦/١.

(٤) بحار الأنوار: ٢٣٢/٧٤.

(٥) بحار الأنوار: ٢٣٢/٧٤.

وعن كتاب المؤمن لأبي سعيد الحسين الأهوازي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«لا والله لا يكون المؤمن مؤمناً أبداً حتّى يكون لأخيه مثل الجسد، إذا ضرب عليه عرق واحد تداعت له سائر عروقه»[1].

التسامح فيما بين المؤمنين

عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام:

«ما من عبد ولا أمة والى محمداً وآل محمداً، وعادى من عاداهم إلاّ كان قد اتخذ من عذاب الله حصناً منيعاً وجنة حصينة، ولا من عبد ولا أمة دارى عباد الله بأحسن المداراة، ولم يدخل بها في باطل، ولم يخرج بها من حقّ إلاّ جعل الله نَفَسهَ تسبيحاً وزكّى عمله، وأعطاه لصبره على كتمان سرّنا، وإحتمال الغيظ لما يسمعه من أعدائنا، وجعل ثوابه ثواب المتشحّط بدمه في سبيل الله تعالى.

وما من عبد أخذ نفسه بحقوق إخوانه فوفّاهم حقوقهم جهده، وأعطاهم ممكنه ورضي منهم بعفوهم، وترك الاستقصاء عليه، فما يكون من زللهم غفرها لهم، إلاّ قال الله عزّوجلّ له يوم القيامة: يا عبدي قضيت حقوق إخوانك، ولم تستقص عليهم فيما لك عليهم، فأنا أجود وأكرم وأولى بمثل ما فعلته من المسامحة والتكرّم فأنا أقضيك اليوم على حقّ وعدتك به، وأزيدك من فضلي الواسع، ولا استقصي عليك في تقصيرك في بعض حقوقي، قال: فيلحقه بمحمد وآل محمد وأصحابه، ويجعلونه من خيار شيعتهم»[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٧٤/٢٣٣.

(٢) تفسير الإمام العسكري: ١٦، بحار الأنوار: ٧٤/٢٣٨.

لا تؤذوا أوليائنا ولا يجرح بعضكم بعضاً

عن الحسن بن عليّ عليه السلام: «إن تقية يصلح الله بها أُمة، لصاحبها مثل ثواب أعمالهم، وتركها بما أهلك أُمة، تاركها كشريك من أهلكهم، وأن معرفة حقوق الإخوان تحبب إلى الرحمان، ويعظم الزلفى لدى الملك الديان، وان ترك قضائها يمقت الرحمان، ويصغر الرتبة عند الكريم المنّان»[1].

وروي عن عبد العظيم الحسني، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «يا عبد العظيم أبلغ عني أوليائي السلام، وقل لهم: أن لا تجعلوا للشيطان على أنفسهم سبيلاً، ومرهم بالصدق في الحديث، وأداء الأمانة، ومرهم بالسكوت وترك الجدال فيما لا يعنيهم. وإقبال بعضهم على بعض، والمزاورة فإن ذلك قربة إليّ ولا يشغلوا أنفسهم بتمزيق بعضهم بعضاً، فإني آليت على نفسي أنه من فعل ذلك وأسخط ولياً من أوليائي دعوت الله ليعذبه في الدنيا أشد العذاب، وكان في الآخرة من الخاسرين. وعرفهم أن الله قد غفر لمحسنهم، وتجاوز عن مسيئهم. ألا من آذى ولياً من أوليائي أو أضمر له سوء فإن الله لا يغفر له حتّى يرجع عنه، فإن رجع عنه، وإلاّ نزع روح الإيمان عن قلبه، وخرج عن ولايتي، ولم يكن له نصيب في ولايتنا، وأعوذ بالله من ذلك»[2].

وعن كتاب قضاء الحقوق للصوري قال أمير المؤمنين عليه السلام فيما أوصى به رفاعة بن شداد البجلي قاضي الأهواز في رسالة إليه: «دارِ المؤمن ما استطعت فإن ظهره حمى الله ونفسه كريمة على الله، وله يكون ثواب الله، وظالمه خصم الله، فلا تكن خصمه».

---

(١) جامع الأخبار: ١١٠ و١١١، بحار الأنوار: ٢٣٠/٧٤

(٢) الاختصاص: ٢٢٧، بحار الأنوار: ٢٣٠/٧٤

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يكلف المؤمن أخاه الطلب إليه إذا علم حاجته»[1].

المؤمن للمؤمن كالجسد الواحد

عن الإمام الصادق عليه السلام إنه قال: «لكُلِ شيءٍ يستريح إليه، وإن المؤمن يستريح إلى أخيه المؤمن، كما يستريح الطير إلى شكله»[2].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «المؤمنون في تبارهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى له عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[3].

وعن معلى بن خنيس عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: «أحبب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك، فإذا احتجت فسله، وإذا سألك فأعطه، ولا تملّه خيراً، ولا يملّ لك، كن له ظهراً، فإنّه لك ظهر، واحفظه في غيبته، وإن شهد فزره، وأجلّه وأكرمه فإنّه منك وأنت منه، وان كان عليك عاتباً فلا تفارقه، حتّى تسل سخيمته، وإن أصابه خير فأحمد الله عزّوجلّ، وإن أبتلي فأعطه وتحمل عنه وأعنه»[4].

التواصل والتعايش بإحسان مع عامة المسلمين

ولأهل البيت عليهم السلام اهتمام بالغ بهذه النقطة. فلا يرضون لشيعتهم أن يعزلوا أنفسهم عن الوسط العام للأُمة الإسلامية الكبيرة، فهم جزء لا يتجزأ من هذه الأمّة، والاختلاف في الأُصول والفروع والإنتماء والولاء

---

(١) الاختصاص: ٢٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ٧٤/٢٣٤.

(٣) بحار الأنوار: ٧٤/٢٣٤.

(٤) المصدر السابق.

يجب أن لا يؤدي إلى التقاطع مع سائر المسلمين... فإن هذه الأمَة بكل اتجاهاتها ومذاهبها أمة واحدة، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾. وتعتبر قوة كبرى على وجه الأرض، وتواجه تحديات كبيرة، ولا تستطيع أن تواجه وتتجاوز هذه التحديات ما لم تواجهها أمة واحدة، بموقف واحد، وفي صف واحد.

وقد كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يعيشون معهم وفي أوساطهم، ويجتمع إليهم المسلمون من كافة المذاهب والاتجاهات، ويحضرون مجالسهم ويأخذون منهم العلم، ولو أحصينا أهل العلم الذين أخذوا العلم عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام لوجدناهم أمة كبيرة من أهل العلم، وكانت مجالسهم ومحاضرهم عامرة بفقهاء المسلمين وحملة الحديث النبوي وأهل العلم من كل اتجاه ومن كل بلد... وهذه الحالة يعرفها جيداً من يعرف حديث أئمة أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم، وهي تعبّر عن حالة الانفتاح والتعايش المذهبي الإيجابي السليم من كل الاتجاهات والمذاهب الإسلامية. في الوقت الذي كان أهل البيت عليهم السلام يرسمون ويوضحون لشيعتهم وللمسلمين عامة الخط الفكري الصحيح في الأصول والفروع بوضوح وصراحة وبشكل دقيق.

وفي أحاديث أهل البيت عليهم السلام دعوة واضحة وصريحة إلى هذا الانفتاح مع المسلمين والتعايش الإيجابي والتواصل والتعاطف والتعاون معهم، وإليك نماذج من أحاديث أهل البيت عليهم السلام في هذا الشأن:

روى محمد بن يعقوب الكليني بسند صحيح في الكافي عن أبي أسامة زيد الشحّام قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «أقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم، ويأخذ بقولي السلام، أوصيكم بتقوى الله عزّوجلّ والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول السجود،

وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله. وأدوا الأمانة إلى من إئتمنكم عليها برّاً أو فاجراً، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر بأداء الخيط والمخيط.

صلّوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري، فيسُرّني ذلك ويدخل عليّ منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر.

والله لحدثني أبي عليه السلام إنّ الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة عليّ فيكون زينها، أدّاهم للأمانة وأقضاهم للحقوق وأصدقهم للحديث، وإليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان أنّه أدّانا للأمانة وأصدقنا للحديث»[1].

وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبدالله الصادق عليه السلام كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس؟

قال: فقال عليه السلام «تؤدون الأمانة إليهم وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم»[2].

وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: قلت له (الصادق عليه السلام): كيف ينبغي أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ومن ليسوا على أمرنا فقال: «تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون فوالله إنهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانة لهم»[3].

---

(١) وسائل الشيعة: ٣٩٨/٨، كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة الباب الأوّل، الحديث الأوّل.

(٢) وسائل الشيعة: ٣٩٨/٨، كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة الباب الأوّل، الحديث الثاني.

(٣) وسائل الشيعة: ٣٩٩/٨، كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة الباب الأوّل، الحديث الثالث.

وفي رواية أُخرى للكليني في الكافي بسند صحيح عن حبيب الحنفي قال: سمعت أبا عبدالله الصادق عليه السلام يقول: «عليكم بالورع والاجتهاد واشهدوا الجنائز وعودوا المرضى، وأُحضروا مع قومكم مساجدهم، وأحبّوا للناس ما تحبون لأنفسكم، أما يستحي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ولا يعرف حقّ جاره»[١].

وبسند صحيح عن مرازم قال: قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، انه لابد لكم من الناس، أن أحداً لا يستغني عن الناس في حياته، والناس لابد لبعضهم من بعض»[٢].

الاعتدال والتوسط والموازنة

من خصائص شيعة أهل البيت عليهم السلام الاعتدال في كلّ أمر والتوسط بين الإفراط والتفريط، وحفظ الموازنة في تعقّل وفهم وموضوعية. وتجنب الغلو والمغالاة، والإفراط والتفريط، والانسياق العاطفي، والانفعال.

عن عمر بن سعيد بن هلال، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام ونحن جماعة، فقال: «كونوا النمرقة الوسطى، يرجع إليكم الغالي ويلحق بكم التالي، واعلموا يا شيعة آل محمد ما بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجة، ولا يُقرَّب إلى الله إلاّ بالطاعة. ومن كان مطيعاً نفعته ولايتنا، ومن كان عاصياً لم تنفعه ولايتنا.

قال: ثم التفت إليّ وقال: لا تغتروا ولا تفترقوا»[٣].

---

(١) وسائل الشيعة: ٣٩٩/٨، كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة الباب الأوّل، الحديث الرابع.

(٢) وسائل الشيعة: ٣٩٩/٨، كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة الباب الأوّل، الحديث الخامس.

(٣) بحار الأنوار: ١٧٨/٦٨، عن مشكاة الأنوار: ٦٠.

الانضباط الأمني والسياسي

عاش شيعة أهل البيت عليهم السلام ظروفاً سياسية وأمنية صعبة في العصر الأموي والعباسي. وكانت هذه الظروف الصعبة تتطلب منهم الانضباط السياسي والأمني إلى حد بعيد، والالتزام الجدي بالتعليمات الأمنية. وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام يأمرون شيعتهم بالالتزام بالانضباط الأمني. ولولا هذه التعليمات، ولولا التزام أتباع أهل البيت بهذه التعليمات لقضت السلطات الأموية والعباسية على خط أهل البيت عليهم السلام ومدرستهم في ذلك الوقت بالكامل، ولم تمتد هذه المدرسة بتراثها الثقافي والفكري والتشريعي الضخم إلى اليوم. وكانت التقية واحدة من أهم هذه الضوابط، كما كان حفظ السر، والكتمان، والكف من الثرثرة في الكلام، والصمت، والتغافل من أهم مفردات هذه التعليمات.

وكانت خسائر مدرسة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من ناحية الفئات والأفراد غير الملتزمين بهذه التعليمات كثيرة.

ونود أن نذكر هنا نماذج من تعليمات أئمة أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم في الانضباط الأمني والسياسي:

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **«امتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها؟ والى أسرارنا كيف حفظهم لها عند عدونا؟»**[1]

وعن سليمان بن مهران قال: دخلت على الصادق عليه السلام وعنده نفر من الشيعة وهو يقول: **«كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً معاشر الشيعة احفظوا ألسنتكم وكفوها عن الفضول»**[2].

---

(١) بحار الأنوار: ١٤٩/٦٨.

(٢) بحار الأنوار: ١٥١/٦٨.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «وددت لو افتدي خصلتين في شيعتنا بلحم يدي: النزق[1]، وقلّة الكتمان».

وعنه عليه السلام: «قوم يزعمون إني إمامهم. والله ما أنا لهم بإمام. كلّما سترت ستراً هتكوه. أقول كذا وكذا فيقولون إنما يعني كذا وكذا»[2].

وعن الباقر عليه السلام قال: «يا ميسر، ألا أخبرك بشيعتنا؟ قلت: بلى جعلت فداك قال: انّهم حصون حصينة، وحدود أمينة، وأحلام رزينة، ليسوا بالمذاييع البذر، ولا بالجفاة المرائين رهبان بالليل أُسود بالنهار»[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «اتّقوا الله وصونوا دينكم بالتقية»[4].

وعنه عليه السلام: «والله ما عبدالله بشيء أحبّ إلى الله من الخبء. قلت وما الخبء؟ قال: التقية»[5].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «وددت والله إني افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي: النزق، وقلة الكتمان»[6].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «أُمر الناس بخصلتين فضيعوهما، فصاروا منهما على غير شيء: الصبر، والكتمان»[7].

عن سلمان عن خالد قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «يا سليمان إنكم على دينٍ من كتمه أعزّه الله ومن أذاعه أذله الله»[8].

---

(١) النزق: سرعة الانفعال.

(٢) بحار الأنوار: ٨٠/٢.

(٣) بحار الأنوار: ١٨٠/٦٨.

(٤) أمالي المفيد: ٥٩.

(٥) أصول الكافي: ٢١٨/٢.

(٦) الكافي: ٢٢١/٢، بحار الأنوار: ٧٢/٧٥، خصال الصدوق: ٤٤، النزق: الطيش، الخفة، الانفعال، الاستعجال، الانفعال عند الطلب.

(٧) الكافي: ٢٢٢/٢.

(٨) الكافي: ٢٢٦/٢.

عن الباقر عليه السلام: «والله إن أحبّ أصحابي إليّ: أودعهم، وأفقههم، وأكتمهم لحديثنا»(١).

عن الصادق عليه السلام: «حسبكم أن تقولوا ما قلنا، وتصمتوا عما صمتنا».

وعنه أيضاً عليه السلام: «ما قتلنا من أذاع حديثنا قتْل خطأ ولكن قتلنا قتْل عمد»(٢).

وهو تعبير عجيب يستوقف الإنسان.

إنّ الذين كانوا يذيعون أسرار التجمعات التابعة لأهل البيت عليهم السلام في العالم الإسلامي وإنتشارهم وتوسعهم في ظروف ظلم بني العباس وإرهابهم كان كمن يتعمّد أن يُعَرِّضَ شيعة أهل البيت عليهم السلام للملاحقة ومتابعة أزلام النظام.

ولم يكن ذلك، بالتأكيد عن نيّة سوء. فقد كانوا يحبون أن يتحدثوا إلى الناس عن أهل البيت عليهم السلام وإحتفاء المسلمين بهم، وإعتناقهم لمدرستهم، وتوسع هذه المدرسة، وكل ذلك عن حبّ وتعاطف، ولكن هذه الإذاعة غير المسؤولة لتجمعات شيعة أهل البيت عليهم السلام، ومراكز قوتهم كان يعرّض هذه التجمعات الصغيرة للملاحقة، والإبادة، والاستئصال، وكان أهل البيت عليهم السلام يشكون كثيراً من انتشار ظاهرة الإذاعة وقلة الكتمان في أصحابهم وشيعتهم رغم تأكيدهم على ضرورة الكتمان والكف عن فضول الكلام.

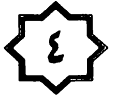
---

(١) بحار الأنوار: ٧٦/٧٥

(٢) بحار الأنوار: ٧٤/٢.

قال الصادق(ع):

شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة، القائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يزكون أموالهم، ويحجّون البيت، ويجتنبون كل محرّم.



مفردات الولاء

والإنتماء إلى أهل البيت عليهم السلام

١ ـ وَعْي الولاء.
٢ ـ التصديق.
٣ ـ الإنتماء العضوي.
٤ ـ البراءة.
٥ ـ العلاقة التوحيدية المتبادلة في دائرة الولاء.
٦ ـ السلام.
٧ـ النصيحة.
٨ ـ الأُسوة والقدوة.
٩ ـ الحزن والفرح.
١٠ ـ المعيّة والتبعية.
١١ ـ التبعية الثقافية.
١٢ ـ توحيد الطاعة.
١٣ ـ التسليم.
١٤ ـ سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم .
١٥ ـ النصر والثأر.
١٦ ـ الحبّ والمودة.
١٧ ـ التحقيق والإبطال.
١٨ ـ الميراث والإنتظار.
١٩ ـ الزيارة.

وسوف نتحدث إن شاء الله عن طائفة من مفردات الولاء والإنتماء ونحاول استخراج هذه المفردات من متون زيارات أهل البيت عليهم السلام غالباً. فإن متون الزيارات المروية عنهم عليهم السلام حافلة بأفكار ومفاهيم وتصورات كثيرة من الولاء والبراءة. وبالتأمل في متون الزيارات نستطيع أن نستخرج نظرية متكاملة عن الولاء والبراءة. ولسنا نحن الآن بصدد هذه الدراسة، ولا يسعنا المجال في هذه المقالة لدراسة الولاء والبراءة وتكوين نظرية عنهما، ولكننا سوف نشير إلى طائفة من مفردات الولاء من خلال هذه المتون، وغيرها من أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

وعي الولاء

وهذا هو العنصر الأوّل من عناصر الولاء وعلى قدر المعرفة تتحدد قيمة الولاء. وكلما يكون الإنسان أوعى لمفهوم الولاء يكون أقوى وأركز في الولاء.

وفي الزيارة الجامعة:

«أُشهد الله وأُشهدكم إنّي مؤمن بكم وبما آمنتم به، كافر بعدوكم وبما كفرتم به، مستبصر بشأنكم، وبضلالة من خالفكم، مؤمن بسركم وعلانيتكم، وشاهدكم وغائبكم».

ونحن نشهد الله ونشهدهم عليهم السلام على هذه المعرفة لثقتنا الكاملة وإيماننا بذلك. ولا يداخلنا في ذلك شك أو ريب.

والولاء في هذه الفقرة يتألف من جانبين:

جانب إيجابي: «مؤمن بكم وبما آمنتم به».

وجانب سلبي: هو البراءة «كافر بعدوكم وبما كفرتم به». والكفر بمعنى الرفض. ومعنى هذه الفقرة: إنني أرفض عدوكم وأرفض كلّ ما ترفضونه.

وقيمة الولاء في هذا وذاك، في الإيجاب والسلب معاً، وفي القبول والرفض. والقبول وحده لا يكلف الإنسان كثيراً ما لم يقترن بالرفض.

والقبول والرفض يجب أن يكونا عن بصيرة ووعي، وليس عن تقليد، كما يقلّد الناس بعضهم بعضاً، «مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم».

والقبول قبول شامل وهذه ثلاث نقاط وردت في هذه الفقرة:

١ ـ القبول الشامل العام «نؤمن بسركم وعلانيتكم».

٢ ـ الرفض الشامل لأعدائهم وكل ما يرفضونه «كافر بعدوكم وبما كفرتم به».

٣ ـ وهذا القبول والرفض يتم عن بصيرة ومعرفة: «مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم».

التصديق

إن الولاء لا ينفك عن التصديق، ولا شي أفسدُ للولاء من الشك والريب، ولم يجعل الله في مسالك الولاء غموضاً؛ فإنّ الله تعالى قد ربط الولاء بالتوحيد، وجعل الولاء محوراً لحركة الفرد والأمّة. وشدَّ الناس إلى الولاء من بعد التوحيد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ وقال: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ﴾. ولذلك لابدّ أن يكون المسلك إلى الولاء واضحاً، حتّى يكون الناس من أمر الولاء على بيّنة. لذلك لا ينفك الولاء عن التصديق والتصديق عن اليقين

واليقين عن البيّنة.

وفي الزيارة الجامعة في الخطاب لأهل البيت عليهم السلام: «**سعد من والاكم، وهلك من عاداكم، وخاب من جحدكم، وضلَّ من فارقكم، وفاز من تمسّك بكم، وأمن من لجأ إليكم، وسلم من صدقكم، وهدى من اعتصم بكم**».

الإنتماء العضوي

حتّى نتحدث عن العناصر الّتي تؤلف (الولاء) لابدّ أن نتحدث أوّلاً عن الترجمة الحرفية لهذه الكلمة كما هي في أدبياتنا المعاصرة، وهي مهمة غير يسيرة. فإن أدبياتنا المعاصرة في العلاقات الاجتماعية قاصرة عن ترجمة هذه الكلمة. فلا نعرف علاقة وشيجة بين الناس على الخط الأفقي من جانب وعلى الخط العمودي من جانب آخر في القيادة السياسية والمرجعية الثقافية والطاعة والتبعية... كـ (الولاء). فهي علاقة متميزة في هذه الأمّة على خطين:

١ ـ على الخط العمودي من علاقة الأمّة بالله ورسوله وأولياء الأُمور، وتتمثل في الطاعة والحبّ والنصرة والنصيحة والاتّباع... بالاتجاه الصاعد. يقول تعالى: ﴿**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾، وبالاتجاه النازل السيادة والحاكمية والرعاية، يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[1] هذا على الخط العمودي، وعلى الخط الصاعد والنازل،

(١) روى نزولها في عليّ عليه السلام الطبري في تفسيره: ١٨٦/٦، بإسنادين والرازي فخر الدين في التفسير الكبير: ٢٦/١٢، والسيوطي في الدر المنثور: ١٠٤/٣، والواحدي في أسباب النزول: ١٣٧، وغيرهم وقد أحصى صاحبُ الفضائل الخمسة طرفاً من روايات الباب: ١٣/٢

ونقصد بالخط الصاعد علاقة الأمّة بأولياء الأمور، وبالخط النازل علاقة أولياء الأمور بالأمة وهي تتقوم بالحاكمية من جانب والرعاية من جانب آخر.

أما على الخط الأفقي، فهي العلاقة الّتي تشدّ الناس بعضهم ببعض في الحياة الاجتماعية، ويختصرها القرآن بهذه الكلمة المعبرّة الدقيقة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، ويوضّحها الإمام الحسن العسكري لأهل (آبه) و(قم) بهذه الكلمة الشفافة «المؤمن أخو المؤمن لأمّه وأبيه»[1]. وهي علاقة متميزة لا نجد لها نظير في الأمم والأديان والشرائع.

وعن رسول الله ﷺ «المؤمنون أُخوة تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إذا اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده»[3].

ويوصي الإمام الصادق عليه السلام المؤمنين فيقول: «تواصلوا وتباروا وتراحموا وكونوا اخوة بررة، كما أمركم الله عزّوجلّ»[4]. وهذا هو الخط الأفقي للولاء.

ولا نعرف نحن شبكة للعلاقات في حياة الأمم أقوى وأمتن وأشد إحكاماً من هذه الشبكة.

الولاء، بهذا التوضيح يعبر عن الإنتماء العضوي إلى أُسرة واحدة متماسكة البناء، كالبنيان المرصوص كما يقول تعالى، والعلاقة بين أفراد

---

(١) بحار الأنوار: ٣١٧/٥٠.

(٢) أمالي المفيد: ١١٠.

(٣) بحار الأنوار: ٢٦٨/٧٤.

(٤) أصول الكافي: ١٧٥/٢.

هذه الأسرة، هي العلاقة القائمة بين أعضاء جسد واحد، وهي أقوى وأشد من العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة.

إذن الولاء نسيج متميز من العلاقة، داخل الأمّة تعبرعن (الإنتماء العضوي) للفرد إلى الأسرة أو للعضو إلى جسد واحد.

وإذا كان قوام الولاء في الخط الأفقي التعاون والتواصل والتناصح والبرّ والأخوّة والإحسان والمودة، والتناصر والتضامن والتكامل... فإن قوام الولاء في الخط العمودي، وهو ما نتحدث عنه هنا، الطاعة والانقياد والتسليم والمحبّة والنصر والإقتداء والاعتصام والاتّباع، والتمسك والحبّ لهم ولأوليائهم والمقاطعة والبراءة عن أعدائهم والنصيحة وما يشبه هذه المعاني.

ويبقى أن نقول في نهاية هذه النقطة أنّ الولاء والبراءة ليست قضية تاريخية، مقطوعة الصلة عن حياتنا السياسية والحضارية المعاصرة.

ولا يمكن أن تكون قضية الولاء، بهذا الحجم الذي يرسمه الإمام الصادق عليه السلام: «وما نودي بشيء كما نودي بالولاية»، مسألة عقائدية مبتورة الصلة عن واقعنا السياسي الذي نعيشه ونتحرك فيه.

وإنما الولاء طاعة، وحبّ، وإنتماء، وبراءة، وسلم، وحرب، وموقف في واقعنا السياسي والاجتماعي الحاضر من خلال الولاية الشرعية النائبة، وما لم يتحول الولاء والبراءة في عقائدنا إلى حركة وعمل وموقف سياسي في السلم والحرب في امتداد الولاية الشرعية النائبة لا تكون لهذا الولاء والبراءة هذه القيمة الكبيرة الّتي نجدها ونقرأها في النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

والآن نتحدث إن شاء الله عن جملة من مفردات الولاء حديثاً موجزاً من خلال النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في نصوص الزيارات. فإنّ هذه النصوص حافلة بمفاهيم ومفردات الولاء.

البراءة

الوجه الآخر للولاء: البراءة. والولاء والبراءة وجهان لقضية واحدة، وهي الإنتماء، وهي الوجه الصعب في قضية الإنتماء. والولاء من دون البراءة ولاء ناقص بليد.

قال رجل لأميرالمؤمنين عليه السلام: «إنّي أُحبّك وأُحبّ خصومك. (وهذا هو الولاء الناقص البليد الذي تحدثنا عنه)، فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: أما الآن فأنت أعور (ورؤية الأعور رؤية نصفية ناقصة) فأما أن تعمى (فتفقد الولاء تبعا للبراءة) أوتبصر (فتجمع بين الولاء والبراءة)».

في الزيارة الجامعة:

«اشهد الله واشهدكم إني مؤمن بكم وبما آمنتم به كافر بعدوكم (رافض لهم) وبما كفرتم به (أي رافض لما رفضتم)، مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم، موال لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم ومعاد لهم».

وفي زيارة عاشوراء وهي أكثر الزيارات إعلاناً للرفض والبراءة عن أعداء الله: «لعن الله أُمةً قتلتكم، ولعن الله الممهّدين لهم بالتمكين من قتالكم، برئت إلى الله وإليكم منهم ومن أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم».

والبراءة في هذا النص ليس من أعداء الله فقط، وإنما تشمل البراءة من أشياع أعداء الله وأتباعهم والراضين عنهم.

وكما نتقرب إلى الله بموالاة أولياء الله، كذلك نتقرب إلى الله والى أولياء الله بمعاداة أعداء الله وأشياعهم. في زيارة عاشوراء: «إني أتقرب إلى الله والى رسوله... بموالاتكم. وبالبراءة ممن قاتلك ونصب لك الحرب وبالبراءة ممن أسسّ أساس ذلك وبنى عليه بنيانه».

العلاقة التوحيدية المتبادلة في دائرة الولاء

الولاء من مقولات التوحيد. وهذا ما سبق أن ذكرناه أكثر من مرة. وقيمة الولاء في الإسلام أنها تنحدر من التوحيد، وتأتي في امتداد التوحيد. ولا ولاء لغير الله تعالى إلاّ بإذن الله وأمره، يقول تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾. وإنّما تجب ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأولي الأمر من بعده بأمر الله تعالى. فمن يتولى الله، يتولى رسوله وأولياء الأمر عليهم السلام من بعده. ولا يمكن فصل ولاية رسول الله عن ولاية الله تعالى ولا ولاية أهل البيت عليهم السلام عن ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1][2].

وقد استفاضت الروايات أن هذه الآية نزلت في عليّ عليه السلام وأن المقصود بالذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون هو عليّ عليه السلام.

وهذه الولاية لله تعالى ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، أولياء أُمور المسلمين.

فكانت ولاية رسول الله وأهل بيته في امتداد ولاية الله، كما أن طاعة

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) نزلت في عليّ عليه السلام روى ذلك الرازي في تفسيره في سورة المائدة ذيل قوله تعالى: (إنّما وليّكم الله...)والشبلنجي في نور الأبصار: ١٧٠، والزمخشري في الكشّاف في تفسير الآية المتقدمة من سورة المائدة. وأبو السعود في تفسيره لهذه الآية من سورة المائدة، وكذلك البيضاوي بعدة طرق. والسيوطي في الدر المنثور بعده طرق في تفسير الآية الكريمة من سورة المائدة. والواحدي في أسباب النزول ص١٤٨، والمتّقي في كنز العمال: ٣١٩/٦ و٣٠٥/٧، والهيثمي في المجمع: ١٧/٧، والمحب الطبري دخائر العقبى: ١٠٢/٨ ذكر ذلك الفيروزآبادي في فضائل الخمسة من الصحاح الستّة: ١٨/٢ ـ ٢٤.

رسول الله ﷺ وأولياء الأمور من بعده ﷺ تأتي في امتداد طاعة الله.

هذا في (الولاية) و(الطاعة) وكذلك الأمر في (الحبّ).

روي عن رسول الله ﷺ: «أحبّوا الله لما يغذوكم، وأحبّوني بحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي بحبّي»[1].

وعن رسول الله ﷺ أيضاً: «أحبّوا الله لما يغذوكم ـ من نعمة ـ وأحبّوني لحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي»[2]

إذن من تولى الله تعالى يتولاهم، ومن أطاع الله تعالى، يطيعهم، ومن أحبّ الله تعالى يحبّهم.

وهذا هو أحد طرفي المعادلة التوحيدية والطرف الآخر، من يتولاهم فقد تولى الله، ومن أطاعهم فقد أطاع الله، ومن أحبّهم فقد أحبّ الله، وبذلك تتكامل هذه المعادلة التوحيدية في العلاقة والولاء والتوحيد من الطرفين.

فاستمع إلى النصوص التالية الّتي تشير إلى الطرف الثاني من المعادلة:

في الزيارة الجامعة:

«من والاكم فقد والى الله، ومن عاداكم فقد عادى الله».

وأيضاً في نفس الزيارة:

«من أطاعكم فقد أطاع الله ومن عصاكم فقد عصى الله».

وأيضاً في هذه الزيارة:

---

(١) صحيح الترمذي: ٢٦١/١٣ في كتاب الإيمان وتاريخ بغداد: ١٦٠/٤، روى ذلك عنهما الشيخ الأميني في كتابه القيّم سيرتنا وسنّتنا.

(٢) صحيح الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أهل البيت ﷺ ورواه الحاكم في المستدرك: ١٤٩/٣ وصححه.

«من أحبكم فقد أحبَّ الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله».

ونحن نتقرب إلى الله تعالى بموالاتهم وبالبراءة من أعدائهم.

في زيارة عاشوراء: **«إني أتقرَب إلى الله بموالاتك، وبالبراءة ممن قاتلك، ونصب لك الحرب»**.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى علياً فقد عصاني»**[1].

وعن ابن عباس قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام فقال: **«يا عليّ أنا سيّد في الدنيا والآخرة، حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوّي وعدوّي عدوّ الله»**[2].

ومن دقائق مفهوم (الولاء والبراءة) في الإسلام أن نفهم بشكل دقيق هذه العلاقة التوحيدية الراسخة بين ولاية الله وولاية أولياء الأمر عليهم السلام (أهل البيت)، وأن نفهم المعادلة التوحيدية بين الولايتين، وأنّ كل ولاية حقّة في الإسلام لابد أن تأتي في امتداد ولاية الله وإلاّ فهي باطلة، وكل طاعة حقّة فلابد أن تأتي في امتداد طاعة الله، وإلاّ فهي باطلة، وكل حبّ فلابد أن يأتي في امتداد حب الله وإلاّ فلا قيمة له في موازين الله تعالى.

وأيضاً في هذا السياق، أهل البيت عليهم السلام هم الأدلاّء إلى الله والدعاة إليه والحاكمون بأمره والمُسَلّمون له تعالى والراشدون إلى سبيله تعالى.

---

(١) رواه الحاكم في مستدرك الصحيحين وصححه: ١٢١/٣ و١٢٨ ورواه المحب الطبري في الرياض النضرة: ١٦٧/٢، راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروزآبادي: ١١٨/٢.

(٢) رواه الحاكم في مستدرك الصحيحين: ١٢٧/٣ وصححه على شرط الشيخين ورواه الخطيب في تاريخ بغداد: ٤٠/٣ بخمسة طرق عن ابن عباس، قال فيه: «من أحبّك فقد أحبّني وحبّي حبّ الله»، وذكره المحب في الرياض النضرة: ١٦٦/٢، راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروزآبادي. ٢٤٤/٢ وقد ذكر طرقاً عديدة لهذا الحديث.

وهذا هو أحد طرفي القضية. والطرف الآخر: إنّ من أراد الله وأراد سبيله ومرضاتة وحكمه وحدوده فلابد أن يسلك طريقهم ويأخذ بعملهم فاستمع إلى طرفي هذه المعادلة التوحيدية مرة أُخرى.

في الزيارة الجامعة: «إلى الله تدعون، وعليه تدلون، وبه تؤمنون، وله تسلمون، وبأمره تعملون، والى سبيله ترشدون، وبقوله تحكمون».

هذا هو الطرف الأوّل، والطرف الثاني في نفس الزيارة: «من أراد الله بدء بكم، ومن وحدّه قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم».

وأأكدّ مرة أُخرى أننا لا نستطيع أن نفهم الولاء إلاّ من خلال هذه الرؤية التوحيدية في امتداد ولاية الله تعالى، وأي فهم للولاء والطاعة والحبّ لأهل البيت عليهم السلام في غير هذا الامتداد، وفي غير هذا الموقع يأتي بخلاف كلماتهم وتعليماتهم عليهم السلام.

السلام والنصيحة

هذان وجهان آخران للولاء. في طريقة التعامل مع أولياء الأمر عليهم السلام. والسلام هو الوجه السلبي لهذه العلاقة، والنصيحة هو الوجه الإيجابي للعلاقة بأولياء الأمور... وإليك الشرح:

السلام

معنى (السلام) لأولياء الأمور عليهم السلام: أن لا نتخل عنهم في بأساء أو ضرّاء، ولا نشاكس، ولا نتمرد، ولا نخرج عليهم، ولا نخالفهم في أمر، ولا نشاققهم في عمل (لا نتخذ شقّاً غير شقّهم)، ولا نخذلهم، ولا نتربص بهم سوءً، ولا نهدر لهم حرمة في حضورهم وغيابهم، ولا نمكر بهم، ولا نساير أعدائهم عليهم، ولا نغشّهم، ولا نتحايل عليهم، ولا نفرّط بهم،

ولا نضَيعهم، ولا نسلمهم إلى أعدائهم، ولا نظلمهم، ولا نتنكّر عليهم، وما يتصل بهذا المعنى.

وهذا هو الجانب السلبي من العلاقة بهم والتعامل معهم.

والسلام مع أولياء الأمور يأتي في امتداد السلام في العلاقة بالله تعالى، ويدخل في مقولة التوحيد، لأن السلام لأولياء الأمور من السلام لله تعالى، وقد أمرنا الله تعالى بأن نتعامل معه بالسلام وأن لا ندخل في حوزة أعدائه والمشاققين له.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[1].

وهذا السلم الذي يدعونا الله تعالى إليه هو السلام في العلاقة مع الله.

وفي مقابل السلام في العلاقة بالله محاربة الله ومشاقته ومحاددة الله.

يقول تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ...﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[4].

أي اتخذوا شقاً غير شقّ الله وسبيلاً غير سبيل الله.

ويقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾[5].

---

(١) البقرة: ٢٠٨.

(٢) البقرة: ٢٧٩.

(٣) المائدة: ٣٣.

(٤) الأنفال: ١٣.

(٥) التوبة: ٦٣.

والمحاددة. أن ينحاز الإنسان إلى حدّ وخط غير خط الله وحدّه.

هذا في السلام في دائرة العلاقة بالله.

والسلام في دائرة العلاقة بأولياء الأُمور يأتي في امتداد هذا السلام، ضمن المقولات التوحيدية. وعلى العموم فإن كل مفردات وعناصر الولاء لأولياء الأمور‏ يدخل في مقولة التوحيد وليس لها وجود وحكم مستقل من دون إذن الله وأمره.

والسلام على أولياء الأمور (رسول الله وأهل بيته‏) كما ورد في نصوص الزيارات ليس من مقولة الخطاب، وإنما السلام من مقولة التعامل والعلاقة، والخطاب يعبّر عن هذه العلاقة وذلك التعامل.

ومن دقيق معاني السلام لأولياء الأمور‏، أن لا نؤذيهم بأفعالنا، وأعمالنا فإن لهم حضوراً في أعمالنا، كما تشهد له سورة القدر ونصوص الروايات.

وسيئّات أعمال أوليائهم، وما يقترفون من المعاصي والذنوب تؤذيهم، كما تؤذي الملكين الموكلين بهم‏. وتسرّهم أعمالهم الصالحة. ولا نريد أن نطيل كثيرا في مقولة السلام على أولياء الأُمور.

وقد حفلت الزيارات جميعاً بالسلام عليهم وتكرار السلام عليهم...

وقد ورد في الزيارة الجامعة غير المعروفة في النصّ الذي رواه الصدوق‏ عن الإمام الرضا‏ في كتاب (من لا يحضره الفقيه) طائفة من السلام نذكرها شاهداً على هذه النقطة.

«السلام على أولياء الله وأصفيائه، السلام على أُمناء الله وأحبائه، السلام على أنصار الله وخلفائه، السلام على محالّ معرفة الله، السلام على مساكن ذكر الله، السلام على مظهري أمر الله ونهيه، السلام على الدعاة إلى الله، السلام على المستقرين في مرضاة الله، السلام على المخلصين

في طاعة الله، السلام على الأدلأء على الله، السلام على الذين من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، ومن عرفهم فقد عرف الله، ومن جهلهم فقد جهل الله، ومن إعتصم بهم فقد اعتصم بالله، ومن تخلى عنهم فقد تخلى عن الله».

النصيحة

النصيحة هي الوجه الآخر (الإيجابي) للعلاقة بأولياء الأمور عليهم السلام.

والنصيحة لأولياء الأمور كذلك من مقولة التوحيد، وتأتي في امتداد النصيحة لله ورسوله صلى الله عليه وآله وهي إحدى القضايا السياسية الثلاثة الّتي أعلنها رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف في منى على جمهور المسلمين عام حج الوداع.

روى الصدوق رحمه الله في الخصال عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **«خطب رسول الله صلى الله عليه وآله الناس في حجة الوداع بمنى في مسجد الخيف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم بلّغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغلّ عليهن قلب امرء مسلم:**

١ ـ إخلاص العمل لله.

٢ ـ والنصيحة لأئمة المسلمين.

٣ ـ واللزوم لجماعتهم.

فإن دعوتهم محيطة بهم.

والمسلمون أُخوة تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٨/٢٧.

والنصيحة لأولياء الأمور وأئمة المسلمين عليهم السلام أن يكون المسلم لهم عونا وعينا، ويسندهم، ويدعمهم، ويسعى في الدفاع عنهم، ويعطيهم ناصح رأيه ومشورته، ويذب عنهم، ويعرض عليهم مشاكل المسلمين وهمومهم ومعاناتهم وهذا الوجه الإيجابي من هذه العلاقة.

الأُسوة والقدوة

من مفردات الولاء التأسّي بأهل البيت عليهم السلام.

وقد جعل الله تعالى إبراهيم عليه السلام ومن بعده رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة للناس يقتدون بهما، ويقيسون أنفسهم بهما.

يقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ في رَسُول اللَّه أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2]. ومن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أهل بيته وخلفاؤه أُسوة حسنة لنا نتأسى بهم في حياتنا وعلاقتنا، وفي حياتنا العائلية، وعلاقاتنا بأهلنا، وعلاقتنا بأنفسنا. وفي مقدمة هذه العلاقات علاقاتنا بالله تعالى.

والتأسّي غير التعلّم، وأهل البيت عليهم السلام لنا معلمون وأُسوة. معلمون نأخذ بتوجيهاتهم وتعليماتهم، وأُسوة نضع خطانا مواضع خطاهم، ونسلك مسلكهم ونذهب مذهبهم في الحياة، ونعيش كما عاشوا ونعاشر الناس وأهلينا، كما كانوا يعاشرون.

إنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام معصومون. ومعنى ذلك أنهم النموذج الكامل للإنسانيّة. جعلهم الله معيارا وميزانا نزن بهم أنفسنا، فما تطابق من سلوكنا ومنطقنا وسكوتنا وحركتنا وسكوننا ومواقفنا مع سلوكهم ومنطقهم

---

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) الأحزاب: ٢١

وحركتهم ومواقفهم فهو الصحيح، وما اختلف عنهم فهو الخطأ، زاد أم نقص، لا فرق. وهذا هو معنى ما ورد في زيارة الجامعة: **«المتخلف عنكم هالك، والمتقدم لكم زاهق، والملازم لكم لاحق»**.

وعلينا أن نقرأ سيرة وسنن أهل البيت عليهم السلام لنطابق بين سلوكنا وسلوكهم...

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: **«ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد»**.

وقد ورد في زيارة الجامعة في وصف أهل البيت عليهم السلام بأنهم (المثل الأعلى)، والمثل الأعلى هو المقياس الذي يصح أن يقيس الناس به أنفسهم، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله يرثون من إبراهيم عليه السلام ومن رسول الله صلى الله عليه وآله مواريث القيم والأخلاق والعبودية والإخلاص والطاعة والتقوى.

ومن أراد أن يهتدي بهدى الأنبياء ويسلك سبيلهم، فإن في الإقتداء بهدى أهل البيت عليهم السلام إقتداء وتأس بهم.

ومما ورد في زيارة الجامعة من الدعاء:

«جعلني الله ممن يقتص آثاركم ويسلك سبيلكم ويهتدي بهداكم».

الحزن والفرح

الحزن والفرح حالتان من الولاء وإمارتان على الحبّ. فإذا أحبّ الإنسان أحداً ـ يحزن ـ بطبيعة الحال لحزنه، ويفرح لفرحه، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **«شيعتنا منّا، يسوؤهم ما يسوؤنا، ويسرّهم ما يسرنا»**[1]. وفي رواية صحيحة عن ريان بن شبيب رحمه الله خال المعتصم

(١) أمالي الطوسي: ٣٠٥/١

العباسي عن الإمام الرضا عليه السلام:

«يا بن شبيب إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى في الجنان، فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولّى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة»[1].

وعن مسمع قال: قال لي أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «يا مسمع أنت من أهل العراق، تأتي قبر الحسين؟

قلت: لا أنا رجل مشهور من أهل البصرة وعندنا من يتّبع هوى هذا الخليفة، وأعداؤنا كثيرة من أهل القبائل من النصّاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي إلى ولد سليمان، فيميلون عليّ.

قال لي: أفتذكر ما صنع به؟ قلت: بلى.

قال: فتجزع؟ قلت: أي والله، استعبر لذلك حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليّ، فامتنع عن الطعام حتّى يستبين ذلك في وجهي.

قال: رحم الله دمعتك. أما إنّك من الذين يُعَدون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا، ويؤمنون إذا أمنا. أما إنك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك وما يلقونك به من البشارة ما تقر به عينك قبل الموت، فملك الموت أرق عليك وأشد رحمةً من الأم الشفيقة على ولدها»[2].

وعن أبان بن تغلب عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «نفس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمّة لنا عبادة، وكتمان سرّنا جهاد في سبيل الله»[3].

إنّنا من هذه الأسرة، ننتمي إليها في العقيدة، والأصول، والحبّ،

---

(١) أمالي الصدوق: ٧٩، المجلس ٢٧.

(٢) كامل الزيارات: ١٠١.

(٣) أمالي المفيد: ٢٠٠، بحار الأنوار: ٢٧٨/٤٤.

والبغض، والولاء، والبراءة، وإمارة هذا الحبّ والولاء الحزن والفرح لأحزانهم وأفراحهم.

ولكن لماذا نجاهر بأحزاننا وأفراحنا ونخرج الحزن والفرح من حالات نفسية إلى حالة شعارية، نتظاهر بها في الوسط الاجتماعي بين الأعداء والأصدقاء.

ولماذا ورد التأكيد في حديث أهل البيت(ع) على إعلان الحزن والبكاء سيما في مصائب الحسين(ع).

فقد روى بكر بن محمد الأزدي عن أبي عبدالله(ع) قال: قال لفضيل: «**تجلسون وتحدثون؟** قال: نعم جعلت فداك.

قال: إن تلك المجالس أُحبّها، فأحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا»[1].

السبب في هذا الإعلان والتظاهر والإشعار هو الإعلان عن هويتنا الإيمانيّة (إنتماؤنا الحضاري والسياسي والثقافي) وهذا الإعلان والتظاهر والإشعار بإنتمائنا إلى أهل البيت(ع) هو الذي حفظنا عبر هذه العصور، وحصننا من التيارات الثقافية والسياسية الضاغطة والمعادية إلى اليوم.

المعيّة والتبعية

لعل كلمة المعيّة من أجمل التعابير في التعبير عن الحالة الإنتمائية إلى مدرسة أهل البيت(ع).

المعية في السراء والضراء، والشدة والرخاء، والسلم والحرب، وقد وردت هذه الكلمة على إيقاع موسيقي مثير في الزيارة الجامعة، وكأنّه قطعة من نشيد الولاء، «معكم معكم لا مع عدوكم». وقد ورد في بعض روايات هذه الزيارة «لا مع غيركم» وهو أوسع دلالة من كلمة «لا مع عدوكم».

---

(١) بحار الأنوار: ٢٨٢/٤٤.

التبعية الثقافية

التبعية والإتّباع مفهوم واسع في الولاء.

يشمل الاتّباع في الحرب والسلم، والاتّباع في الحبّ والبغض، والاتّباع في الفكر والثقافة والمعرفة والفقه.

ونحن أحرار في أن نأخذ العلم من أي موضع وجدنا فيه العلم، من الشرق والغرب، ولكن لا يجوز ولا يصح لنا أن نأخذ الثقافة والمعرفة إلا من مصدر الوحي، وأهل البيت عليهم السلام يستنقون المعرفة والثقافة من مصدر الوحي، فهم أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، وخزان العلم، كما ورد في الزيارة الجامعة.

وبين العلم والثقافة فرق. فليس للعلم مردود مباشر على سلوك الإنسان، وعقيدته، وطريقة تفكيره، ومنهجه في العبادة، والعلاقة، والمعاشرة، والحركة، والعمل الاجتماعي، والنشاط السياسي والإعلامي، وما يتصل بذلك، وأما الثقافة فلها مردود مباشر على سلوك الإنسان وتفكيره ونهج معيشته ومعاشرته، وعلى عبادته، وتصوراته عن الله والكون والإنسان... الخ.

والعلوم كثيرة، مثل الصيدلة، والتجارة، والاقتصاد، والمحاسبة، والرياضيات، والهندسة المعمارية، والإلكترون، والذرة، والجراحة، والطب، والفسلجة، والميكانيك، والفيزياء... وغير ذلك والناس أحرار أن يأخذوا العلم من أي مصدر يجدون عنده العلم حتّى من الكافر، فان العلم سلاح وقوة. وعلى المؤمنين أن يستلموا السلاح والقوة من أعدائهم.

والثقافة كالأخلاق، والعرفان، والفلسفة، والعقيدة، والفقه، والدعاء

والتربيــة والتهــذيب وســنن المعاشــرة، ومــنهج المعايــشة الاجتماعيــة والسلوكية والأدب وغير ذلك.

وليست الثقافة كالعلم. ولا يصح لنا أن نأخذ الثقافة (المعرفة) إلا مـن مصادر الوحي. ذلك أن للثقافة مردود مباشر على سلوك الإنسان وفهمه وطريقة معيشته وسلوكه وعلاقته بالله وبالناس وبنفسه وبالأشياء. والثقافـة تحصّن العلم. وما لم يقتـرن العلـم بالثقافـة الـصالحة والهادفـة فـان العلـم يمكن أن يتحول إلى أداة للتخريـب والإفـساد. والثقافـة الهاديـة الراشـدة تحصن العلم، وتجعل منه أداة نافعة ومفيدة، لخدمة الإنسان.

والقرآن كتاب (ثقافة) في حياة الإنسان، أنزله الله تعالى لهدايـة فكـر الإنسان وسلوكه، وليس كتاب (علم)، وإن وجد العلماء في القرآن علمـاً كثيراً في الفلك والنجوم والنبات والحيوان والطب والفسلجة وغيـر ذلـك ولكن يبقى القرآن كتاب ثقافة هادية، ومن الخطأ أن نتعامل مع القـرآن، وكأنّـه كتـاب (علـم) أنزلـه الله تعـالى لـيعلم النـاس الفيزيـاء والكيميـاء والنبات، بل هو كتاب ثقافة، أنزله الله تعالى ليعلمنا كيف نعيش، وكيـف نفهـم الألوهيـة والكـون والإنـسان وكيـف نـتصور الله والكـون والإنـسان وكيف نتعامل مع الله ومع الناس ومع أنفـسنا ومـع الأشياء، وكيـف نقيّـم الأشياء والأعراف والناس والأفكار.

يقول تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[1].

ويقول تعـالى: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَـيْكُمْ وَمَـا أَنـزَلَ عَلَـيْكُمْ مِّـنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾[2].

---

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) البقرة: ٢٣١.

يقول تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾[٢].

وكذلك يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٣].

ويقول تعالى: ﴿هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٤].

إذاً القرآن كتاب ثقافة، ونور في حياة الناس، وبصائر للناس، وهدىً، وموعظةً، وإذا صح لنا أن نأخذ العلم من أي مصدر ومن أي يد، حتّى من أيدي أعدائنا، فلا يصح لنا أن نأخذ الثقافة إلاّ من مصدر معصوم، ينقلها إلينا من مصدر الوحي، فإن ضريبة الخطأ والانحراف في الثقافة باهظة، وليس العلم كذلك.

ورسول الله ﷺ هو المصدر المعصوم الذي يهبط إليه الوحي، ويبلغنا به، وبعد رسول الله ﷺ انقطع الوحي، ولكن رسول الله ﷺ أقام فينا خلفاء من أهل بيته عليهم السلام، عدلاء للقرآن، قد أخذوا الثقافة والمعرفة من رسول الله ﷺ، وتوارثوا عنه المعرفة والثقافة وحدود الله وأحكامه، والحلال والحرام والسنن والآداب والأخلاق والأصول والفروع، وجعلهم رسول الله ﷺ مرجعاً للمسلمين من بعده في ذلك كلّه، وعدلاً للقرآن، جيلا من بعد جيل، إلى أن يرث الله تعالى الأرض وما عليها، وذلك في حديث صح عند الفريقين، وهو حديث الثقلين، أمر فيه رسول

---

(١) آل عمران: ١٣٨.

(٢) النساء: ١٧٤.

(٣) الأعراف: ٥٢.

(٤) الأعراف: ٢٠٣.

الله صلى الله عليه وآله المسلمين من بعده بالرجوع إلى القرآن وأهل بيته، حتّى تقوم القيامة، وجعل التمسك بهما أماناً من الضلال والانحراف[1].

ونصّ الحديث: «**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا، حتّى يردا عليّ الحوض، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي**».

وألفاظ الحديث متقاربة في المصادر. ويبدو لنا من اختلاف لفظ الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد كررها في أكثر من موضع، وكان (غدير خم) من تلك المواضع كما ورد في صحيح مسلم برواية زيد بن أرقم.

وقال رسول الله: «**مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق**»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أهل بيتي أمان لأمّتي من الاختلاف**»[3].

---

(١) رواه مسلم في الصحيح في(فضائل الصحابة) والترمذي في الصحيح: ٣٠٨/٢، وأحمد في المسند في مواضع عديدة، والدارمي في سننه: ٤٣١/٢ بعدة أسانيد، والحاكم في المستدرك بعدة أسانيد وصححها على شرط الشيخين: ١٠٩/٣، والبيهقي في سننه: ١٤٨/٢ و٣٠/٧، ورواه ابن حجر في الصواعق: ٨٩ وصححه، وابن الأثير الجزري في أسد الغابة: ١٢/٢ وغيرهم ولسنا نحتاج إلى الإطالة في عرض إسناد هذا الحديث وتصحيحه، فإنّ الأمر فوق ذلك ويكفي في ذلك رواية (مسلم والترمذي في صحيحيهما).

(٢) رواه الحاكم في مستدرك الصحيحين: ٣٤٣/٢ وصححه على شرط مسلم، ورواه المتقي في كنز العمال: ٢١٦/٦، والهيثمي في المجمع: ١٨/٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء: ٣٠٦/٤، والخطيب في تاريخ بغداد: ١٩/١٢، والسيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم) من سورة البقرة والطبري في ذخائر العقبى والمناوي في كشف الحقائق: ١٣٢، وابن حجر في الصواعق. وأخرج أسانيده السيّد الفيروزآبادي في فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٦٧/٢ ـ ٧١.

(٣) مستدرك الصحيحين: ١٤٩/٣ وصححه ورواه ابن حجر في الصواعق: ١١١ والهيثمي في المجمع: ١٧٤/٩، والمناوي في فيض القدير: ٢٩٧/٦ والمتّقي في كنز العمال: ٢١٧/٧ وغير ذلك من المصادر. وأخرج جملة من طرقه الفيروزآبادي في فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٧١/٢ ـ ٧٣.

وغير ذلك من الأحاديث الصريحة والواضحة في أنّ رسول الله ﷺ كان يوصي المسلمين من بعده أن يرجعوا إلى أهل بيته، ويأخذوا عنهم معالم دنيهم ومعارفهم، وحدود الله وسنن نبيه ﷺ، والحلال والحرام.

وقد جمع طرفاً من هذه الأحاديث الفيروزآبادي في كتابه القيم فضائل الخمسة من الصحاح الستة فلا نتوقف عندها طويلاً.

إذن فإن أهل البيت ﷺ هم **«موضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي وخزائن العلم... ومصابيح الدجى، وأعلام التقى، وأئمة الهدى، وورثة الأنبياء، وحجج الله على أهل الدنيا»** كما ورد في الزيارة الجامعة.

وهم **«محال معرفة الله، ومعادن حكمة الله، وحملة كتاب الله، وهم حجته وصراطه ونوره وبرهانه»** كما ورد في الزيارة الجامعة.

فمن يفترق عنهم، فلا محالة يسلك مسالك الضلالة، سواءً كان يتقّدم عليهم، أويتأخر عنهم، وذلك أنّ صراط الله تعالى واحد لا يتعدد ولا يختلف، فمن يسلك مسلكهم إلى الله يهتدي، ومن يختلف عنهم في السلوك فلن يبلغ ما يريد الله. وقد أعلن ذلك رسول الله ﷺ إعلاناً في مواضع كثيرة، ذكرنا واحدا منها في حديث الثقلين: **«ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي»**.

والمسألة لا تدخل في حقل الاجتهاد فيهتدي ناس ويضل آخرون، ويثيب الله المهتدي بأجرين والمخطئ بأجر واحد، كما يقولون.

فلا يصحّ أن يأخذ أحد بالاجتهاد مع وجود النصّ. وقد نَصّ رسول الله ﷺ بالرجوع إلى أهل بيته ﷺ فيما يختلفون من بعده.

وفي زيارة الجامعة:

«فالراغب عنكم مارق، واللازم لكم لاحقٌ، والمقصر في حقكم

زاهق، والحقّ معكم وفيكم ومنكم ولكم وأنتم معدنه وفصل الخطاب عندكم، وآيات الله لديكم، ونوره وبرهانه عندكم».

فمن يريد وجه الله وطريقه وهداه وسبيله فلا محالة يأخذ عنهم، ويتبع سبيلهم، فإن أهل البيت لا يدعون إلاّ إلى الله، ولا يدلّون إلا عليه، وورد في نفس الزيارة: «إلى الله تدعون، وعليه تدلون وبه تؤمنون، وله تسلمون، وبأمره تعملون، والى سبيله ترشدون، وبقوله تحكمون. سعد من والاكم، وهلك من عاداكم، وخاب من جحدكم، وضلّ من فارقكم، وفاز من تمسّك بكم، وأمن من لجأ إليكم، وسلم من صدقكم، وهدى من اعتصم بكم».

الطاعة والتسليم

جوهر الولاء (الطاعة) و(التسليم).

و(الطاعة) قيمة، إذا كانت في محلها، وضد القيمة، إذا كانت في غير موضعها، والعصيان والتمرد والرفض قيمة، إن كانت بوجه الطاغوت، وضد القيمة، إن كانت لله ورسوله وأهل بيت رسوله أولياء أمور المسلمين.

وتجمع الآية ١٧ من سورة الزمر هاتين القيمتين معا: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾.

وفي سورة النحل: ﴿أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾[1].

والطاعة والعبادة، والرفض والاجتناب أمر واحد، وقد أمرنا الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأولياء الأمر من بعد رسوله: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ﴾ وأمرنا برفض الطاغوت وعصيانه ومكافحته.

---

(١) النحل: ٣٦.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ﴾[1].

وأئمة أهل البيت عليهم السلام هم أولياء الأمور من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، تجب طاعتهم، والتسليم لهم فيما يطلبون.

فهم «ساسة العباد وأركان البلاد»، وهم «حجج الله على أهل الدنيا».

توحيد الطاعة

ونحن نؤمن إيماناً، لا إيمان فوقه أنّ الطاعة لله تعالى وحده، وليس لغيره عزّ شأنه طاعة من دون إذنه وأمره، وأن طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته من طاعة الله ورسوله.

«من أطاعكم فقد أطاع الله، ومن عصاكم فقد عصى الله»[2].

التسليم

ومن مشاهد الطاعة (التسليم) وهو حالة الانقياد الكامل، وعدم الاعتراض والرفض. ومن أبرز موارد التسليم تسليم القلوب: «مُسلم فيه معكم، وقلبي لكم مُسلَم ورأيي لكم تبع»[3].

سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم

والسلم والحرب وجهان للولاء والبراءة، والولاء ليس فقط سلماً لأولياء الأمور، وإنما له امتدادان شاقان وهما السلم لكم ولمن سالمكم، وليس لكم فقط، والحرب لمن حاربهم.

وهذا الفهم الدقيق للولاء والبراءة «سلم لمن سالمكم وحرب لمن

---

(١) النساء: ٦٠.

(٢) الزيارة الجامعة

(٣) الزيارة الجامعة.

حاربكم» ينظِّم الخارطة السياسية للمجتمع تنظيما جديداً إلى منطقة (سلم) ومنطقة (حرب). والحرب بمعنى المفاصلة والبراءة، وليس القتال وبين البراءة والمفاصلة وبين القتال فرق.

إنّ علاقتنا الاجتماعية لا تنتظم طبقاً للمصالح المادية والسياسية، إنما بموجب الولاء والبراءة، فنقاطع أهلنا وجيراننا أحياناً ونواصل ناساً بعداء عنا زماناً ومكاناً.

وفي زيارة عاشوراء: «**إني سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، وولي لمن والاكم، وعدو لمن عاداكم**».

وقد ورد مسنداً عن عمار رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام:

«**إنه مني وأنا منه... حربه حربي، وسلمه سلمي، وسلمي سلم الله**».

وأخرج الترمذي في الصحيح عن زيد بن أرقم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين:

«**أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم**»[1].

ورواه ابن ماجة في السنن قال:

«**أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم**»[2].

ورواه الحاكم في مستدرك الصحيحين[3].

ورواه ابن الأثير الجزري في أُسد الغابة[4].

والمتقي في كنز العمال[5].

---

(١) صحيح الترمذي، كتاب المناقب ب١٦ فضل فاطمة بن محمد. ٣١٩/٢ ط. ١٢٩٢هـ

(٢) سنن ابن ماجة المقدمة باب ١١ ص١٤٥.

(٣) مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري: ١٤٩/١٣، كتاب معرفة الصحابة «مبغض أهل البيت يدخل النار ولو صام وصلّى».

(٤) أُسد الغابة: ٥٢٣/٥.

(٥) كنز العمال: ٢١٦/٦

والسيوطي في الدر المنثور في تفسير آية التطهير من سورة الأحزاب والهيثمي في مجمع الزوائد[1].

وهذا هو معنى التوحيد في الحرب والسلم، فإن حرب أهل البيت وسلمهم هو حرب رسول الله ﷺ وسلمه، وحرب رسول الله ﷺ وسلمه هو محاربة الله تعالى وسلمه، وكذلك كل مفردات الولاء والبراءة من مقولة التوحيد.

النصر والثأر

قضية الولاء قضية صعبة فهي السلم، والحرب، في السراء والضراء، ولو كانت هذه القضية في السلم والسرّاء لهان أمر الولاء. ومن متطلب هذا الولاء الصعب النصر والثأر، ولا ولاء من دون النصر، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾[2]

وكذلك (الولاء) الحقّ لا ينفك عن «الثأر...». إن الولاء الذي لا يكلف صاحبه قتالاً ولا حرباً ولا قطعاً لموصول ولا فعلاً ولا ضرراً ليس من الولاء الحقّ وإنما هي صورة ولاء.

في زيارة عاشوراء نتمنى ونسأل الله تعالى أن يرزقنا الثأر للدماء الزاكية الّتي أُريقت ظلماً وعدواناً بكربلاء.

«فأسأل الله الذي أكرم مقامك وأكرمني بك أن يرزقني طلب ثأرك مع إمام منصور من أهل بيت محمد ﷺ».

أيضاً في زيارة عاشوراء:

---

(١) مجمع الزوائد: ١٦٩/٩، المصادر منقولة عن كتاب الفضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروز آبادي: ٣٩٦/١ ـ ٣٩٩.

(٢) الأنفال: ٧٤.

«وأسأله أن يبلغني المقام المحمود لكم عند الله، وان يرزقني طلب ثاركم مع إمام هدى ظاهر ناطق بالحق منكم».

وفي الزيارة الجامعة نعلن عن استعدادنا الكامل للنصر:

«ونصرتي لكم معدة».

الحبّ والمودة

وهو من أُسس الولاء لأهل البيت عليهم السلام.

وقد نزل فيه قرآن يتلى على الناس في كل حين.

﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1].

والقربى هم قربى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، بلا خلاف.

وهذه هي المودة الواجبة الّتي يشير إليها النصّ الوارد في الزيارة الجامعة **«ولكم المودة الواجبة والدرجات الرفيعة»**. والطاعة والحبّ هما روح الولاء وجوهرها. وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الحبّ، هل الحبّ من الدين؟ فقال الإمام عليه السلام:

«وهل الدين إلا الحب. ولو أن إنساناً أحبّ حجراً لحشره الله معه».

والحبّ كما ذكرنا من قبل، من مقولة التوحيد.

فمن أحبّ الله يحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته، ومن أحبّ رسول الله وأهل بيته يحبّ الله.

وعن الأوّل ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أحبوني بحب الله، واحبّوا أهل بيتي بحبي»[2].

---

(١) راجع مصادر نزول الآية في أهل البيت عليهم السلام، في (دلائل الصدق): ٢/١٢٠ ـ ١٢٦ ط. القاهرة. والغدير: ٢/٣٠٦ ـ ٣١٠ و٣/١٧١ ط. طهران والآية في سورة الشورى: ٢٣.

(٢) صحيح الترمذي: ١٣/٢٦١.

وعن الثاني ورد في الزيارة الجامعة: «من أحبّكم فقد أحبّ الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله»[1].

وكذلك من أحبّ الله يحبّ المؤمنين لحبّهم لله، ومن أحبّ المؤمنين يحبّ الله لا محالة.

وحبّ الله يجب أن يكون أبلغ وأقوى وأشد درجات الحبّ في نفس الإنسان.

وينبغي أن يكون هو الحبّ الحاكم في حياة الإنسان حتّى لا يحبّ الإنسان إلاّ الله وفي الله.

عن النقطة الأولى يقول تعالى: ﴿قُلْ إن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[3].

وقد ورد في الدعاء:

«اللهم اجعل حبّك أحبّ الأشياء إليّ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك»[4].

وعن النقطة الثانيّة وردت نصوص كثيرة في الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ وأهل بيته، منها ما رواه الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام عن رسول الله ﷺ:

---

(١) وردت هذه الفقرة مرّتين في الزيارة الجامعة.

(٢) التوبة: ٢٤

(٣) البقرة: ١٦٥

(٤) كنز العمال ٣٧/٨

«ألا ومن أحبّ في الله، وأبغض في الله، وأعطى في الله، ومنع في الله، فهو من أصفياء الله المؤمنين عند الله. ألا وإن المؤمنين إذا تحابّا في الله عزّوجلّ، وتصافيا في الله كانا كالجسد إذا اشتكى أحدهما من جسده موضعاً، وجد الآخر ألم ذلك الموضع»[1].

إنّ الحبّ على نوعين: حبّ ساذج لا عمق له، وحبّ واعٍ في امتداد حبّ الله تعالى، والحبّ الأوّل لا قيمة له في التاريخ، ولا في حياة الإنسان ومصيره، وإنما هو نوع من الهوى يعتري الإنسان. أما الحبّ الواعي الذي يأتي في امتداد حبّ الله، وهو ما نتحدث عنه في مودة أهل البيت عليهم السلام وحبّهم، فهو أمر آخر غير الحبّ الساذج، الضحل، الذي يعرفه الناس في حياتهم، وهو لا يكون إلاّ في امتداد حبّ الله.

ولهذا الحبّ خصال وسمات بارزة معروفة:

الخصلة الأولى لهذا الحبّ: إنّه لا يفارق البراءة قط. ومع كل حبّ عداء وبغضاء. ومع كل رضا غضب ومع كل ولاء براءة، والحبّ الذي لا يقترن بالعداء والبغضاء حبّ ساذج ضحل.

جاء رجل إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: **إني أُحبّك وأُحبّ خصومك.** فقال عليه السلام: **أما الآن فأنت أعور** (ترى برؤية نصفية ناقصة) **فأما أن تعمى أوتُبصر.** وقد ورد في الزيارة **«موال لكم ولأوليائكم ومبغض لأعدائكم ومعاد لهم».**

الخصلة الثانيّة لهذا الحبّ: إنّ له امتداد في الناس كما كان هو يقع في امتداد حبّ الله، فان الحبّ في الله يمتد، فيهم وفي أوليائهم **«موال لكم ولأوليائكم».** ولا يمكن أن يحبّ الإنسان أحداً في الله، ثم لا يحبّ

---

(١) بحار الأنوار: ٧٤/٢٧٩ ـ ٢٨٠

من يحبه في الله.

والخصلة الثالثة لهذا الحبّ: إنّه ينقلب الى موقف عملي في ساحة الصراع في الحرب والسلم «سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم».

والخصلة الرابعة: إنّ الحبّ لله والبغض في الله يرسمان الخارطة السياسية الكاملة للعلاقات الاجتماعية الإيجابية والسلبية والسلمية والعدائية والمواصلة والمفاصلة في المجتمع الواسع بشكل دقيق.

التحقيق والإبطال

وفي دائرة الولاء لأهل البيت عليهم السلام يجب أن نذب عن حريم ثقافتهم ومعارفهم فنحقق ما حققوا ونبطل ما أبطلوا.

فإن المساحة الثقافية والمعرفية في تاريخ أهل البيت عليهم السلام من أكثر المساحات الّتي تعرضت للهجوم والحرب من قبل أعدائهم.. وتصدى فقهاء أهل البيت عليهم السلام وعلماء مدرستهم للذبّ عن معارفهم وثقافتهم وفقههم ومعرفتهم للإسلام.

والتحقيق والإبطال في هذه الدائرة، يقع في سياق الجهاد والصراع والسلم والحرب، في زيارة الجامعة:

«سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، محقق لما حققتم، مبطل ما أبطلتم».

الميراث والإنتظار

يمتد الولاء عبر (التاريخ) و(المستقبل)، ولا يخلو شيء من الزمان عن الولاء من بدايات التاريخ من آدم ونوح عليهما السلام إلى نهايات التاريخ، حيث يظهر المهدي من آل محمد عليهم السلام، ليملأ الأرض قسطا وعدلا،

ويرث الأرض من أيدي الظالمين، تحقيقا لوعده تعالى في التوراة والزبور.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1] والذكر، هوَ التوراة. وهذا وعد الله تعالى في التوراة والزبور والقران، وأهل البيت عليهم السلام يرثون الأنبياء والصالحين في التاريخ، يرثون منهم الصلاة والذكر والزكاة والحج والدعوة إلى الله.

وزيارة (وارث) للحسين عليه السلام تعبّر عن هذه الوراثة المعرفية والحضارية والثقافية والجهادية والرسالية للحسين عليه السلام من الأنبياء عليهم السلام... وتحمل هذه الزيارة مفاهيم حضارية ودلالات معرفية عميقة.

«السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله...».

وهذه الوراثة ضاربة في أعماق التاريخ منذ آدم ونوح عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ عليه السلام...

والحسين عليه السلام في موقفه بكربلاء يوم عاشوراء، كان يجسد كل هذا الميراث المعرفي والثقافي والحضاري والجهادي الضخم.

إذن للولاية تاريخ عميق، ضارب في أعماق التاريخ وأهل البيت عليهم السلام يرثون المسيرة الطويلة الصالحة للأنبياء عليهم السلام، ونحن نرث عنهم هذا التاريخ.

نرث منهم الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، والدعوة إلى الله، والذكر والإخلاص،

---

(١) الأنبياء: ١٠٥.

وسائر قيم التوحيد فلا نكون مثلاً لقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ من بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ﴾ وإنّما نحفظ الصلاة، ونقيمها، وندعوا إليها، كما حفظها سلفنا من قبل ونكون، إن شاء الله من الذين يأخذون بقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاة وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، فنحفظ في أنفسنا ومجتمعنا وأهلينا هذا الميراث الإلهي العظيم الذي ورثناه من سلفنا الصالح، كابرا بعد كابر وجيلا بعد جيل.

هذا عن امتداد (الولاء) في أعماق التاريخ، وهو (الميراث).

وللولاية امتداد مستقبلي في أعماق المستقبل حيث ننتظر ظهور الإمام المهدي من آل محمد ﷺ، وننتظر بظهوره الفرج والنصر الكبير، والانقلاب الكوني الشامل الذي أخبرنا به الله تعالى في كتابه الكريم، وفي التوراة والزبور من قبل ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

والإنتظار، ليس معنىً سلبياً، كما يرصد الناس خسوف القمر وكسوف الشمس، وإنما الانتظار معنى إيجابي، كما نفهم من نصوص الإنتظار، وهو التحضير والإعداد (السياسي والثقافي والعملي) على وجه الأرض لإعداد الأرض والمجتمع لظهور الإمام ﷺ للانقلاب الكوني الكبير الذي يقوده الإمام ﷺ.

ومعنى الإنتظار، بناءاً على هذا الفهم الإيجابي لهذه الكلمة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والدعوة إلى الله وجهاد الظالمين، وإعلان كلمة الله ونشر الثقافة الربانيّة في الأرض، وإقامة الصلاة، وما إلى ذلك من ألوان التحضير والإعداد للانقلاب الكوني الكبير القادم.

وإلى هذا البعد المستقبلي للولاء تشير الزيارة الجامعة «منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم»، «حتّى يحيي الله تعالى دينه بكم، ويردّكم في أيامه،

ويظهركم لعدله، ويمكنكم في أرضه».

والكلمة الأخيرة (ويمكنكم في أرضه) تشير إلى الآيات الأوائل من سورة القصص ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[١].

ويتبلور هذا الإنتظار في عمل وحركة وجهد، وصبر، ومقاومة، وهدم، وبناء، وسعي في الأرض لإقامة دين الله، وإعداد وتحضير لقيام الدولة الإلهية على وجه الأرض، بالدعوة الى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومكافحة الباطل والمنكر وجهاد أئمة الكفر.

وإليك صورة مشجية من الندبة الّتي يندب بها المؤمنون إمامهم عليه السلام في فراقه، وفي إنتظار فرجه:

«أين بقية الله الّتي لا تخلو من العترة الهادية؟

أين المُعَدّ لقطع دابر الظلمة؟

أين المنتظر لإقامة الأمت والعوج؟ أين المرتجى لإزالة الجور والعدوان؟

أين المُدَخّر لتجديد الفرائض والسنن؟

أين المُتَخَذ[٢] لإعادة الملة والشريعة؟

أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده؟

أين محيي معالم الدين وأهله؟

أين قاصم شوكة المعتدين؟

أين هادم أبنية الشرك والنفاق؟

أين مبيد أهل الفسوق والعصيان والطغيان؟

---

(١) القصص: ٥ ـ ٦.

(٢) في أكثر المصادر اين المتخير.

أين قاطع حبائل الكذب والافتراء؟

أين مبيد العتاة والمردة، ومستأصل أهل الفساد والضلال والإلحاد؟

أين معز الأولياء ومذل الأعداء؟

أين جامع الكلمة على التقوى؟

أين باب الله الذي منه يؤتى؟

أين صاحبّ يوم الفتح وناشر راية الهدى؟

أين مؤلف شمل الصلاح والرضا؟

أين الطالب بذحول الأنبياء وأولاد الأنبياء؟

أين الطالب بدم المقتول بكربلاء؟

أين المنصور على من اعتدى عليه وافترى؟

أين المضطر الذي يجاب إذا دعى؟

أين ابن النبي المصطفى وابن عليّ المرتضى وابن خديجة الغراء وابن فاطمة الكبرى؟»[1].

والإنتظار مزيج من هذه الندبة المشجية والعمل الكادح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الظالمين لإعداد الأرض لظهور الإمام المهدي وفرجه وقيامه.

وتتحول هذه الندبه المشجية في قلوب المؤمنين الى عمل وحركة، وسعي، وثورة، وقيام، وصبر، وصمود، ومقاومة، وجَلَد، وجهاد، ودعوة، وهدم، وبناء، لتحضير الأرض لظهور الأمام عليه السلام وقيام دولته الكونيّة الّتي وعدنا الله بها في كتابه الكريم ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾.

وليس من شكّ أنّ قيام الإمام المهدي عليه السلام يكون بعد الجيل الذي يوطئ الأرض لظهوره وقيامه عليه السلام، كما وردت وتواترت بذلك النصوص

---

(١) فقرات من دعاء الندبة المعروف

الإسلامية. وهذا الجيل الموطئ هو الذي يُعَد الأرض لظهور الإمامعليه السلام وقيامه. ومعنى الإنتظار إذن هو هذا التعجيل والتسريع في هذه التوطئة والإعداد بالأمر بالمعروف والجهاد والحركة والعمل.

إنّ (الولاء) كما قلنا (ميراث) و(إنتظار)، ميراث يشدّنا إلى مسيرة الأنبياء والصالحين في التاريخ، وإنتظار يشدّنا إلى الانفتاح على الأمل المشرق الذي فتحه الله تعالى علينا للمستقبل.

ولكن هذا الأمل يجب أن يقترن دائما بالكدح والجهاد والعمل، حتّى يتحقق بإذن الله، وليس بالترقب وإنتظار العلامات فقط.

الزيارة

من مظاهر الولاء وآثاره (الزيارة).

والزيارة حالة واضحة وملحوظة وشائعة في علاقتنا بأهل البيتعليهم السلام، نلتزم بها، وندعوا إليها، وللزيارة، في دائرة الولاء، ثقافة،وآداب، ونصوص نتلوها ونقرؤها، غنية بالأفكار والمفاهيم الثقافية عن الولاء، وعمقها ومساحتها الشاسعة في الحياة.

والغاية من الزيارة الإنشداد العضوي والثقافي بالمسيرة الصالحة الهادية في التاريخ.

ونحن جزء من هذه المسيرة الحافلة بقيم التوحيد، والإخلاص، والتقوى، والصلاة، والجهاد، والزكاة، والأمر بالمعروف، والذكر، والشكر، والصبر، والقوة...

نحن جزء لا يتجزأ من هذه المسيرة المباركة الّتي تمتد من أهل البيتعليهم السلام إلى حركة الأنبياءعليهم السلام في التاريخ، من آدم إلى نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وغيرهمعليهم السلام... جزء من هذه المسيرة، وجزء

من هذا الصراع التاريخي بين الإسلام والجاهلية وبين التوحيد والشرك، في كل مراحل هذه المسيرة، وجزء من هذه الشجرة الطيّبة الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ.

نحن أغصان هذه الشجرة، ولا بد أن نحافظ على هذا الإنتماء العضوي إلى هذه الشجرة الطيبة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[1].

ولابدّ أن نعمّق الإحساس بهذا الإنتماء العضوي الى هذه الشجرة في وجداننا وضمائرنا وقلوبنا وعقولنا.

ومهما تعمق وتأكد لدينا الإحساس بالإنتماء إلى هذه الشجرة الطيبة وهذه الأسرة المباركة في التاريخ، نزداد قوةً وصبراً وصلابةً في مواجهة التحديات، ونزداد ثباتاً على طريق ذات الشوكة وعلى المزالق الّتي تواجهنا في الطريق.

و(الزيارة) من أهم عوامل هذا الإنشداد.

إنّ الزيارة توفّر جواً عاطفياً قوياً يتأكد فيه هذا الإنتماء الحضاري الثقافي والحركي إلى هذه الأسرة المباركة، والمسيرة الصالحة في التاريخ.

ونصوص الزيارات المروية عن أهل البيت عليهم السلام في زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام وسائر أهل البيت عليهم السلام والأنبياء عليهم السلام وأولياء الله وصالح المؤمنين، حافلة بهذا الميراث الحضاري والثقافي الضخم، وتختزن معاني ومفاهيم الإنشداد إلى هذه المسيرة، والإنتماء إلى هذه الأسرة المباركة، وإعلان البراءة عن

---

(١) إبراهيم: ٢٤.

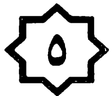
أعدائهم ومناوئيهم والذين نصبوا لهم الحرب.

وقد كتبت دراسة من قبل عن (الزيارة) في الفصل الأخير من كتاب (الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام) ونكتفي هنا بما ذكرناه هناك فلا نعيد.

جاء في الزيارة الجامعة:

أُشهد الله وأُشهدكم أنّي مؤمن بكم وبما آمنتم به، كافر بعدوكم وبما كفرتم به، مستبصر بشأنكم، وبضلالة من خالفكم، مؤمن بسركم وعلانيتكم، وشاهدكم وغائبكم.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



مكاسب الإنتماء

إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام

١ ـ معايشة محمد وآل محمد في الدنيا والآخرة.
٢ ـ ينشر الله عليهم كرامته.
٣ ـ يتمسكون بحجزتنا ونحن نتمسك بحجزة نبيّنا.
٤ ـ رزق الله لهم في الآخرة.
٥ ـ مع أهل البيت عليهم السلام، ومنّهم.
٦ ـ الفوز والفلاح.
٧ ـ المشاركة مع الشهداء بالولاء والبراءة.

الآن نتحدث عن آخر نقطة في هذا البحث وهي معارج الولاء والبراءة ومكاسبها.

فإنّ الولاء والبراءة معراجان للإنسان إلى الله تعالى، ومن خلال الولاء والبراءة، يعرج الإنسان إلى الله عزّوجلّ وينال مرضاته.

ولا ينال الإنسان قرب الله ومرضاته إلا من خلال الولاء والبراءة.

وفيما يلي نتحدث عن طائفة من الأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في معارج الولاء والبراءة.

معايشة محمد وآل محمد في الدنيا والآخرة

عن عبدالله بن الوليد، قال: دخلنا على أبي عبدالله عليه السلام في زمن مروان، فقال: ممّن أنتم فقلنا من أهل الكوفة، فقال:

«ما من بلد أكثر محبّاً لنا من أهل الكوفة، لا سيما هذه العصابة. إن الله هداكم لأمر جهله الناس، فأحببتمونا، وأبغضنا الناس وتابعتمونا، وخالفنا الناس، وصدّقتمونا، وكذّبنا الناس، فأحياكم الله محيانا، وأماتكم مماتنا.

فاشهد على أبي أنه كان يقول: ما بين أحدكم، وبين أن يرى ما تقرّ به عينه، أو يغتبط، إلاّ أن تبلغ نفسه هكذا، وأهوى بيده إلى حلقه.

وقد قال عزّوجلّ في كتابه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ فنحن ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

(١) بحار الأنوار: ٦٥/٢٠ و٢١ ح٣٤.

وفي زيارة عاشوراء المعروفة:

«وأحينا محيا محمد وآل محمد وامتنا ممات محمد وآل محمد».

ينشر الله عليهم كرامته

عن رسول الله ﷺ: **«يقول الله عزّوجلّ لشيعتي وشيعة أهل بيتي يوم القيامة هلم يا عبادي إليّ لأنشر عليكم كرامتي، فقد أوذيتم في الدنيا»**[١].

يتمسكون بحجزتنا ونحن نتمسك بحجزة نبيّنا

عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام كان أبي يقول: **«إن شيعتنا آخذون بحجزتنا، ونحن آخذون بحجزة نبينا، ونبينا آخذ بحجزة الله»**[٢].

قال المجلسي: أخذت بحجزة الرحمن: أي اعتصمت به[٣].

وعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: **«إذا كان يوم القيامة أخذ رسول الله بحجزة ربّه (اعتصم به)، وأخذ عليّ عليه السلام بحجزة رسول الله ﷺ، وأخذنا بحجزة عليّ عليه السلام، وأخذ شيعتنا بحجزتنا. فأين ترون يوردنا رسول الله ﷺ»**[٤].

عن عليّ بن الحسين عليه السلام: **«إن أحقّ الناس بالورع والاجتهاد فيما يحبّ الله ويرضى: الأوصياء وأتباعهم، أما ترضون أنه لو كانت فزعة من السماء فزع كل قوم الى مأمنهم، وفزعتم إلينا، وفزعنا الى نبينا. إنّ نبينا آخذ بحجزة ربه (معتصم به). ونحن آخذون بحجزة نبينا، وشيعتنا آخذون بحجزتنا».**

---

(١) بحار الأنوار ١٩/٦٥ ح ٢، مع اختلاف عن عيون أخبار الرضا: ٦٠/٢.

(٢) بحار الأنوار ٣٠/٦٥ ح ٦٠ من المحاسن: ١٨٣.

(٣) بحار الأنوار ٣٠/٦٥.

(٤) بحار الأنوار ٣٠/٦٨ ح ٦١ من المحاسن ١٨٣.

ما يرزقهم الله في الآخرة

عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: كنت ذات يوم عند النبي صلى الله عليه وآله إذا اقبل بوجهه على عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال:

«ألا أُبشرك يا أبا الحسن؟

فقال عليه السلام: بلى يا رسول الله.

فقال صلى الله عليه وآله: هذا جبرئيل يخبر عن الله أنه قد أعطى شيعتك ومحبيك تسع خصال:

١ ـ الرفق عند الموت.

٢ ـ والأُنس عن الوحشة.

٣ ـ والنور عند الظلمة.

٤ ـ والأمن عند الفزع.

٥ ـ والقسط[١] عند الميزان.

٦ ـ والجواز على الصراط.

٧ ـ ودخول الجنّة قبل سائر الناس.

٨ و٩ ـ ونورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم»[٢].

وعن عليّ بن أبي طالب قال:

«يخرج أهل ولايتنا يوم القيامة من قبورهم مشرقة وجوههم، مستورة عوراتهم، آمنة روائعهم، قد فرجت عنهم الشدائد، وسهلت لهم الموارد، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون»[٣].

---

(١) القسط بمعنى النصيب الوافر.

(٢) بحار الأنوار: ١١/٦٨.

(٣) بحار الأنوار: ١٥/٦٨ ح١٧.

عن ابن عباس قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله عزّوجلّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ فقال: «قال جبرئيل عليه السلام ذاك عليّ وشيعته. هم السابقون إلى الجنة، المقرّبون من الله بكرامته لهم»[١].

معنا، ومنّا

عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ:

«أنا وهذا، يعني عليّاً، كهاتين وضم بين إصبعيه، وشيعتنا معنا، ومن أعان مظلوماً كذلك»[٢].

عن عمر بن يزيد قال: قال أبو عبدالله عليه السلام:

«يا ابن يزيد أنت والله منا أهل البيت.

قلت: جعلت فداك من آل محمد.

قال: أي والله من أنفسهم؟ أما تقرأ أنت قول الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾.

أوَمَا تقرأ قول الله عزّ اسمه: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾».

عن الصادق عليه السلام قال:

«شيعتنا جزء منا يسوءهم ما يسوءنا، ويُسرّهم ما يسرنا، فإذا أرادنا أحد منهم فليقصدهم، فإنهم الذي يوصل منه إلينا»[٣].

وعنه عليه السلام: «من تولى آل محمد وقدّمهم على جميع الناس بما قدمهم (الله) من قرابة رسول الله ﷺ فهو من آل محمد لمنزلته من آل محمد،

---

(١) بحار الأنوار: ٢٠/٦٨ ح٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ١٩/٦٨، في عيون أخبار الرضا: ٥٨/٢، وأمالي الطوسي. ٧٠/١

(٣) بحار الأنوار: ٢٤/٦٨ عن أمالي الطوسي: ٣٠٥/١.

بتوليه لهم واتّباعه إياهم، وكذلك حكم الله في كتابه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ وقول إبراهيم ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾»[1]

الفوز والفلاح

عن جابر بن يزيد عن محمد بن عليّ الباقر عليه السلام عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن عليّاً وشيعته هم الفائزون»[2].

المشاركة مع الشهداء بالولاء والبراءة

في الحديث الصحيح عن ريّان بن شبيب رحمه الله خال المعتصم، قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام في أوّل يوم من محرم، فقال لي (بعد حديث طويل).

«يا ابن شبيب إن كنت باكيا لشي فأبك للحسين عليه السلام بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فانّه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته (ثمانيّة عشر) رجلاً ما لهم شبيهون في الأرض.

يا ابن شبيب إن سرّك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي صلى الله عليه وآله فالعن قتلة الحسين عليه السلام.

يا ابن شبيب إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثلما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام، فقل متى ما ذكرته: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

يا ابن شبيب إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى في الجنان

---

(١) بحار الأنوار: ٣٥/٦٨ ح٧٢ عن تفسير العياشي: ٣٢/٢.

(٢) الإرشاد، وقد سبق أن روينا هذه الرواية عن السيوطي في الدر المنثور وغيره والروايات متضافرة بهذا المعنى.

فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولّى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة»[1].

وهذا حديث صحيح. وهو أمر يستوقف الإنسان ولولا صحة سند الحديث لحملناه على ضرب من المبالغة والمسامحة الّتي نجدها عادة في بعض الأحاديث المرسلة والضعيفة.

فأقرأ عليك مرة أُخرى هذه الفقرة العجيبة من الحديث «يا ابن شبيب إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام، فقل متى ما ذكرته: ﴿يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾».

إنّ هذه الأُمنية عندما تكون صادقة وحقيقية، وهذا الرضا بفعل الحسين عليه السلام وأصحابه والسخط على جريمة آل أُمية وأصحابهم تكون صادقة، تُشْرِك المتمني الراضي الساخط من الموالين المحبين للحسين عليه السلام في ثواب أصحاب الحسين المستشهدين بين يديه.

فتنقلب النيّة إلى العمل، عند الله تعالى، وتلحق النيّة بالعمل في القيمة عند الله عندما تصحّ النيّة ويصدق العزم... وهذا من أغرب أنواع الانقلاب في العلاقة بين النيّة والعمل.

ولانقلاب النيّة إلى العمل، في الأجر والثواب، قانون ونظام، كما أن لانقلاب المادة إلى الطاقة قانون ونظام في الفيزياء. وهو قانون عجيب في الإيجاب، والسلب، وفي الثواب والعقاب حقاً.

وكما أنّ نيّة العمل الصالح تشرك صاحبها في ثواب أعمال الصالحين، كذلك نيّة الظلم والرضا بالظلم تشرك صاحبه في عقاب الظلم.

---

(١) أمالي الصدوق: ج٧٩ المجلس ٢٧.

يقول محمد بن الأرقط دخلت على الإمام الصادق عليه السلام في المدينة:

«قال: أتنزل الكوفة؟ قلت: نعم.

قال: فترون قتلة الحسين بين أظهركم؟

قلت: جعلت فداك، ما رأيت أحداً منهم.

قال: فإذن أنت لا ترى القاتل إلاّ من قتل أومن وليَّ القتل؟ ألم تسمع قول الله: ﴿قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

فأي رسول قتل الذين كان محمد صلى الله عليه وآله بين أظهرهم، ولم يكن بينه وبين عيسى عليه السلام رسول. إنما رضوا قتل أُولئك فسمّوا ظالمين (قاتلين)».

والآية الّتي يشير إليها الإمام الصادق عليه السلام هي الآية ١٨٣ من سورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

ولاشكّ أن الخطاب ـ في قوله تعالى: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ـ إلى اليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولاشكّ أن هؤلاء اليهود لم يقتلوا نبيّاً قط، وبينهم وبين القتلة ستة قرون، ولكن القرآن مع ذلك ينسب القتل إليهم حقيقةً، وليس مجازاً نحو قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾.

وليس من توجيه وتفسير لهذه النسبة إلاّ إذا فهمنا هذه القاعدة الكلّية من معادلة النيّة والرضا والسخط بالعمل الذي يرضى به صاحبه.

إنّ النيّة والأمنية الصادقة، والرضا والسخط الصادقين تحمل قيمة العمل بالكامل، وتصح نسبة العمل إلى من ينوي ذلك العمل، ويتمناه صادقاً، ويرضى به صادقاً كما ورد ذلك في كتاب الله.

يروي الشريف الرضي في (نهج البلاغة):

«لما أظفر الله تعالى أميرالمؤمنين عليه السلام بأصحاب الجمل، قال له بعض أصحابه. وددت أن أخي فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك.

فقال عليه السلام: أهوى أخيك معنا؟ قال: نعم.

قال: فقد شهدَنا. ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال وأرحام النساء سيعرف بهم الزمان، ويقوى بهم الإيمان».

إنّ هذا القانون والسنة الإلهية يشركنا في أعمال الصالحين، ويلحقنا بهم في الثواب فنحن مشاركون للأنبياء والأولياء والصالحين في أعمالهم، إذا نويناها، ورضينا بها، وأحببناها، وتمنيناها صادقين. كما أنّ العكس صحيح أيضاً.

فمن كان يرضى بأعمال الظالمين وجورهم وظلمهم ومفاسد أعمالهم، ويتمناها، وينويها، ويدافع عنها، يحشره الله معهم، وإن لم يحضرها، ويذيقهم عقابهم.

فما ورد من أنّ الإمام المهدي من آل محمد عليهم السلام إذا ظهر يقتل قتلة الحسين عليه السلام، ويحصيهم، ويلاحقهم، ويبيدهم معناه إن الإمام يلاحق من كان على هوى قتلة الحسين عليه السلام، يقتلهم بقتلهم الحسين، ليطهّر الأرض من رجسهم وظلمهم.

وفي زيارة الحسين عليه السلام المعروفة بـ(وارث) تشخيص وتوظيف دقيقان لهذا القانون، من لعن قتلة الحسين، ومن ظلمه، ومن رضي بقلته.

وإليك هذا النصّ من الزيارة: «لعن الله أمة قتلتكم، ولعن الله أُمة ظلمتكم، ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به».

فإن **الطائفة الأولى**: هي الّتي وليت جريمة القتل.

و**الطائفة الثانيّة**: هي الّتي أسندتهم وأيدتهم وجهزّتهم.

وأما **الطائفة الثالثة**: فهي الّتي رضيت بقتل الحسين عليه السلام، وهي أوسع هذه الطوائف، وتمتد وتنبسط على رقعة واسعة جداً من التاريخ والجغرافية.

ويعجبني هنا أن أختم هذا الحديث برواية عطية العوفي عن الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه عندما زار قبر الحسين عليه السلام بعد مصرعه وإليك هذا النصّ:

في (بشارة المصطفى) عن عطية العوفي قال:

خرجت مع جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه، زائرين قبر الحسين ابن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، فلمّا وردنا كربلاء، دنا جابر من الفرات فاغتسل ثم إئتزر بإزار، وارتدى بآخر، ثم فتح صُرة فيها سعد فنثرها على بدنه، ثم لم يَخْطُ خطوة إلاّ ذكَر الله، حتّى إذا دنا من القبر، قال: ألمسنيه، فألمسته فَخَرَّ على القبر مَغْشيّاً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء، فأفاق. ثم قال: يا حسين، ثلاثاً، ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، ثم قال: وأنّى لك بالجواب، وقد شحطت أوداجك على أثباجك، وفُرقَ بين بدنك ورأسك. فأشهد أنّك ابن سيّد النبيّين وابن سيد المؤمنين. وابن حليف التقوى، وَسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيّد النقباء، وابن فاطمة سيدة النساء، ومالك لا تكون هكذا، وقد غذّتك كفّ سيّد المرسلين وربّيت في حجر المتقين، ورُضعت من ثدي الإيمان، وفطمت بالإسلام، فطبت حيّاً وطبت ميّتاً، غير أنَ قلوب المؤمنين غير طيّبة لفراقك، ولا شاكّة في الخيرة لك. فعليك سلام الله ورضوانه. وأشهد أنّك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى ابن زكريا.

ثم جال ببصره حول القبر فقال: السلام عليكم أيتها الأرواح الّتي حلت بفناء الحسين وأناخت برحله. أشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتّى أتاكم اليقين. والذي بعث محمداً بالحقّ لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

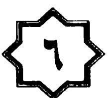
قال عطية: فقلت لجابر: وكيف ولم نهبط وادياً، ولم نعل جبلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فرّق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأُوتمت أولادهم، وأرملت الأزواج؟

فقال لي: يا عطية، سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: «من أحبّ قوماً حشر معهم، ومن أحبّ عمل قوم أُشرك في عملهم»، والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً إن نيّتي ونيّة أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه. خذوا بي نحو أبيات كوفان.

فلما صرنا في بعض الطرق فقال: يا عطية هل أُوصيك؟ وما أظن إنني بعد هذه السفر ملاقيك! أحبَ محبّ آل محمد ﷺ ما أحبّهم، وأبغض مبغض آل محمد ما أبغضهم، وإن كان صوّاماً قوّاماً، وأرفُق بمحب محمّد وآل محمد فإنّه إن تزل لهم قدم بكثرة ذنوبهم، ثبتت لهم أُخرى بمحبّتهم. فإن محبّهم يعود إلى الجنة ومبغضهم إلى النار[1].

---

(١) بشارة المصطفى: ٧٤ المطبعة الحيدرية ١٣٨٣ هـ



استدراك وإلحاق

لا نعرف اثني عشر إماماً قطّ في تاريخ الإسلام غير أئمة أهل البيت عليهم السلام الاثني عشر المعروفين الذين يتمسّك شيعة أهل البيت عليهم السلام بإمامتهم... ولو نفينا ذلك لم يصح حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يجد مصداقاً، وهو ما لا يقول به من يصلي الى القبلة.

من هم أهل البيت؟

في نهاية هذا البحث نحبّ أنْ نثير تساؤلاً يثيره البحث المتقدم في المدخل وهو: من هم آل البيت الذين يتوارثون الإمامة السياسية والمرجعية الفقهية والثقافية عن رسول الله إلى يوم القيامة؟

أقول: إنّ المسألة أوضح من أن يتوقف عندها الإنسان؛ فإن رسول الله لا يمكن أن يحيل مرجعية هذه الأمّة في الحلال والحرام والأصول والفروع على إمتداد الزمان، إلى يوم القيامة إلى جماعة غير محدّدة، فلابد أن تكون هذه الجماعة محدّدة وواضحة ومعروفه، ولسنا نعرف مجموعة من أهل بيت رسول الله بارزة وواضحة على امتداد التاريخ، تعلن إمامتها، ومرجعيتها إلى المسلمين على امتداد التاريخ، غير الاثني عشر إماماً المعروفين من أهل البيت في تاريخ الإسلام، الذين تقول الشيعة الاثنا عشرية بإمامتهم، والذين وصل إلينا علمهم وجهادهم وفهمهم وتراثهم في مئات المجلدات من الكتب توارثها علماء هذه المدرسة كابراً عن كابر. والذين كانوا يرون أنّهم ورثة رسول الله في الإمامة السياسية والفقهية وأنّهم المعصومون من بعد رسول الله.

أحاديث الاثنا عشر إماماً بعد رسول الله

وقد صح عن رسول الله بطرق لا يرقى إليها الشك إن الإمامة الراشدة في اثني عشر أميراً بعد رسول الله وكلهم من قريش. وقد

صحت هذه الروايات عند محمد بن إسماعيل البخاري في الصحيح[1] ومسلم ابن الحجاج النيسابوري في الصحيح[2] والترمذي في الصحيح[3] والحاكم في مستدرك الصحيحين[4] وأحمد بن حنبل في المسند في عدة مواضع[5] وغيرهم من حفاظ الحديث النبوي ولسنا نعرف نحن في تاريخ الإسلام اثني عشر أميراً وإماماً عدلاً يتعاقبون، «ولا ينقضي هذا الأمر قبل أن يكتمل عددهم»، «ولا يزال الدين قائماً حتّى يكون اثنا عشر منهم»، «وعددهم عدد نقباء بني إسرائيل»، وغير ذلك مما ورد في الروايات الصحيحة...

أقول: لا نعرف اثني عشر إماماً وأميراً قطّ في تاريخ الإسلام بهذه الصفة الواضحة غير أئمة أهل البيت عليهم السلام الاثني عشر المعروفين الذين يتمسّك شيعة أهل البيت عليهم السلام بإمامتهم... ولو نفينا ذلك لم يصح حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يجد مصداقاً، وهو ما لا يقول به من يصلي الى القبلة.

آية التطهير

والشاهد الآخر على ما ذكرناه آية التطهير المباركة من سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[6].

ولا يختلف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أدخل عليّاً وفاطمة والحسن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة: ٢٠١/١٢ ـ ٢٠٤ ط. ١٩٧٢ بشرح النووي.

(٣) صحيح الترمذي: ٣٥/٧ كتاب الفتن.

(٤) مستدرك الصحيحين: ٥٠١/٤.

(٥) مسند أحمد في عدّة مواضع: ٨٦/٥ ـ ٩٢ ـ ١٠٦.

(٦) الأحزاب: ٣٣.

والحسين عليهم السلام فقط دون غيرهم تحت الكساء،عندما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1].

وقد صحّت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله، إن رسول الله حصر أهل البيت فيهم، فقال عند نزول الآية «اللهم هؤلاء أهل بيتي (مشيراً لعلي وفاطمة والحسن والحسين) فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقالت أُم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله، قال: أنت على مكانك أنت على خير»[2].

والروايات الحاصرة لأهل البيت عليهم السلام في الخمسة الطاهرة، دون غيرهم كثيرة، وفيها روايات صحيحة، لامجال فيها للمناقشة يرويها (الترمذي) و(الطحاوي) و(ابن أثير الجزري) والحاكم في المستدرك والسيوطي في (الدر المنثور) بطرق كثيرة وهي روايات صحيحة وواضحة في تشخيص أهل البيت عليهم السلام الذين جمعهم رسول الله تحت الكساء...

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمر بباب فاطمة عليها السلام ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: «الصلاة يا أهل البيت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»[3].

وروى السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ﴾ عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ كان النبي يجيء إلى باب

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين. مستدرك الصحيحين: ١٤٧/٣، سنن البيهقي: ١٤٩/٢ وغيرها من المصادر وهي كثيرة.

(٢) صحيح الترمذي: ٢٠٩/٢.

(٣) صحيح الترمذي: ٢٠٩/٢.

عليّ عليه السلام صلاة الغداة ثمانيّة أشهر يقول: «الصلاة رحمكم الله، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»[1]. وكان كل ذلك يجري بحضور أصحاب رسول الله، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يريد بذلك أن يشخّص المقصود من أهل البيت عليهم السلام، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وإذا عرفنا أن هؤلاء الأربعة من أهل البيت، وعرفنا أنهم هم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً... فسوف نستطيع أن نعرف بهم من هم أهل البيت الذين تتصل وتمتد فيهم الإمامة والمرجعية الفقهية إلى نهاية التاريخ، فإنّ هؤلاء الخمسة قد أذهب الله عنهم الرجس بشهادة القرآن، فلا يقولون إلاّ حقاً وصدقاً بشهادة القرآن والإمامة والمرجعية الفقهية والثقافية تتصل فيهم على نحو حلقات متصلة ومترابطة بتوصية من الإمام السابق حتّى ينتهي إلى الإمام الأوّل منهم عليّ ابن أبي طالب عليه السلام.

وبذلك يتحدد الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام الذين وردت الإشارة إليهم في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) تفسير الدر المنثور... سورة طه ذيل آية ١٣٢.

الفهرس

قال أبو الحسن الرضا(ع):
يا ابن شبيب إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى في الجنان فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا فلو أن رجلاً تولّى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة.

كتب مطبوعة للمؤلف:

سلسلة الثقافة الإسلامية

سلسلة ثقافية تعالج أهم قضايا الفكر والثقافة الإسلامية في ضـوء المصادر الأولية لهذا الدين المتصلة بالوحي.

والغاية من اصدار هذه الحلقات

أولاً: المساهمة في تنقية الثقافة الاسلامية المعاصرة، وابرازها بلغة حديثة، ميسرة، من خلال الكتاب والسنة.

ثانياً: المساهمة في تكوين العقل الإسلامي المعاصر، وتمكينه من معالجة كبريات القضايا والمسائل من خلال الكتاب والسنة.

الأعداد المطبوعة من سلسلة الثقافة الإسلامية

١ ـ كيف نقرأ القرآن.

٢ ـ الاجتهاد والحياة، حوار على الورق.

٣ ـ حوارات وإثارات حول المرجعية والفقاهة .

٤ ـ سلطات الفقيه وصلاحياته في عصر الغيبة.

٥ ـ الانتظار الموجه.

٦ ـ الغربة والاغتراب.

٧ ـ مشروع الوحدة الإسلامية ثقافيا واجتماعيا.

٨ ـ خطاب الاستنصار الحسيني من المدينة إلى كربلاء.

٩ ـ شروط العمل وساحاته.

١٠ ـ دروس عن الثقافة الإدارية والقيادية في الإسلام.

١١ ـ العلاقة مع إسرائيل.

١٢ ـ وقفة مع الدكتورالبرّاك استاذ جامعة ام القرى بمكّة المكرّمة.

١٣ ـ أدب التعامل مع الخطاب الإلهي.

١٤ ـ الفئات المعارضة لخروج الحسين عليه السلام.

١٥ ـ مناقشة الفهم الآخر لعاشوراء.

١٦ ـ حضور القلب في الصلاة.

١٧ـ الشعائر والشعارات الحسينية (القسم الأول).

١٨ـ الشعائر والشعارات الحسينية (القسم الثاني)

١٩ـ اللّقاء بين الحوزة والجامعة.

٢٠ ـ لبيك داعي الله.

٢١ـ الفصل بين الدين والدولة

٢٢ـ المباني الفقهية للمقاومة المسلحة: مقاومة الإحتلال

٢٣ـ المباني الفقهية للمقاومة المسلحة: مقاومة الحكومات الظالمة

٢٤ـ الجسور الثلاثة

٢٥ ـ في علاقة النصر بالله تعالى في ساحة المعركة

٢٦ـ المذهب التاريخي في القرآن

٢٧ـ مع العبد الصالح ذي النون في رحلة العودة إلى الله

٢٨ـ على طريق ذات الشوكة

٢٩ـ حدود الله وتخطي حدود الله

٣٠ـ الفقه والمعاصرة

٣١ـ دروس من سورة الشرح

٣٢ـ أربعة بصائر في سورة العصر

٣٣ـ شيعة أهل البيت عليهم السلام

٣٤ـ سنّة التعميم

٣٥ـ الفتنة والفرقان

٣٦ـ الاتجاهات والملامح العامة للنظام الإسلامي

٣٧ـ العصم

٣٨ـ الشهادة والشهود

٣٩ـ الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام

٤٠ـ دور الليل والنهار في حياة الإنسان

٤١ـ ميراثان في كتاب الله تعالى

٤٢ـ الولاء والبراءة

٤٣ـ نظرية العلاقة الزوجية في القرآن الكريم

٤٤ـ الصراط

٤٥ـ علاقة الإنسان الذاتية في القرآن

٤٦ـ مفردات الولاء والانتماء إلى أهل البيت عليهم السلام

٤٧ـ الإصر والأغلال

٤٨ـ العجب

٤٩ـ الحب الإلهي في أدعية أهل البيت عليهم السلام

٥٠ـ الاستعاذة

من منشورات مجمع أهل البيت عليهم السلام ـ العراق

مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام ـ العراق / النجف الأشرف

يمكنكم زيارة موقع المؤلف على العنوان التالي:

www.alasefi.net